رواية

# كنز سازيران

(نسخة معدلة ومزيدة)

## عيسى عبد الله





لم يتوقع أحد منهم أن تلك الأساطير يمكن لها في يوم من الأيام أن تصبح حقيقة...
تلك العائلة البسيطة المكونة من أب يعمل في مهنة الندافة وابن اسمه "درهم" يساعده في عمله، ووالدة درهم ربة المنزل..
سمع درهم العديد من الحكايات والقصص من والده ومنها قصة ذلك الرجل العثماني "سازيران" الذي جاب بقاع الأرض يجمع الكنوز، فضحك على والده ظناً منه أنها أسطورة ككل الأساطير التي طالما سمعها منه..
كل ذلك تغير بين ليلة وضحاها بعدما وجدوا تلك الخريطة المخبأة وعليها ذلك اللغز الغريب بالرسم العثماني..
فأخذتهم تلك الخريطة في رحلة غريبة، يحاولون جمع ألغازها المتناثرة بين قلاع منسية وأبراج قديمة، يرتحلون من مكان لآخر ليكتشفوا أسراراً لم يعلم بها أحد قط.
سراديب خفية، وقاعات ضخمة بنيت تحت الأرض، ممرات ودهاليز، مصاعب ومخاطر، طامعين ولصوص وقتله، فهل يمكن لهذه العائلة أن تتغلب على كل ذلك وتنجح في حل كل تلك الألغاز وفك رموزها، وأن تكتشف أسرار كنز سازيران؟

عيسى عبدالله

تصميم الغلاف (رغد العجمي)

ISBN: 978-99966-55-84-5







 +965 67076866
+965 90055534

 www.dar-sama.com
 dar_Sama@hotmail.com

 darsama
 dar_sama

# كنز سازيران

عيسى عبدالله

رواية



813.03 عبد الله، عيسى .

كنز ساتزيران / عيسى عبد الله . - ط1.- الكويت : دار سما للنشر والتوزيع ، 2015

... ص ؛ 20 سم .

1. القصص العربية -الكويت – ق 21 أ. العنوان

ردمك : 978-99966 -55-84-5

رقم الإيداع : 810/ 2015

الإخراج الداخلي : مطابع الرسالة

الغلاف: رفعة العجمي

سما للنشر والتوزيع - الكويت






 +965 67076866
+965 90055534

 www.dar-sama.com
info@dar-sama.com

 darsama
 dar_sama

# الإهداء

الإهداء الخاص بالطبعة الجديدة

لمن شجعني.. وكان سببًا لاستمراري..

فمن لا يشكُر.. لا يُشكر.. فشكرًا لكم..

وإن كثرت مفترقات الطرق..

وأخذت الحياة بكل منا في درب..

لا بد لنا أن نلتقي..

فإلى لقاء قريب..

عيسى عبدالله

كنز سازيران

وقائع

أسماء المدن والمناطق وكذلك القلاع والأبراج

جميعها مواقع حقيقية ولا زالت موجودة

حتى يومنا هذا

## ١

«هاجمتهم مجموعة من الخلف، دون أن يتوقّعوا ذلك، فكان تركيزهم على المجموعة التي هاجمتهم من الأمام أولاً، سقط العديد من القتلى في ذلك اليوم، وانتصر جيش «أتارين» على ملوك جبال الذهب». هكذا كان أبو درهم في الأربعين من عمره، يجلس كعادته ليروي قصصًا ومغامراتٍ أثناء عمله.

كان درهم ووالده يجلسان مع الصباح الباكر في الحجرة التي أعدّها الأخير لحلج القطن وتجهيزه، وذلك باستخدام قوس خشبيّ به وتر من سلك معدنيّ لحلج القطن ونفشه من خلال الوتر باستخدام مطرقة خشبية.

حيث كانا يمرّان سوية على المنازل المحيطة بدارهما في مدينة «الوكرة» لجمع طلبات صنع الفرش والوسائد القطنية والصوفية، وكذلك عمل الأغطية وخياطتها.

وبما أن منزلهما كان يبعد مسافة ساعات عن مدينة «الدوحة»، فقد كانا يذهبان إلى المدينة مرتين في الأسبوع على ظهر الحمار، ويتنقلان بين المنازل للقيام بالعمل، فيجلس أبو درهم ليحلج القطن مع ابنه وهو يتحدث لأطفال الدار وعجائزها عن قصص القدامى والأساطير التي سمعها ابنه مئات المرات إلى أن ملّها.

لم يرزق والدا درهم سوى بابنهما «درهم» الذي بلغ عامه التاسع

عشر هذا العام، كان شابًا طويل القامة، حسن المظهر قوي البنية، وعلى الرغم من عمله في «الندافة» مع والده، إلا أنه لم يكن يحب هذه المهنة، فقد كان دائمًا ما يدخل في مجادلات مع والده حول ذهابه للغوص لاستخراج اللؤلؤ، وظنّه أنه سيكسبهم ثروة، وأن الغوص بحثاً عن اللؤلؤ أفضل من عمل الحلاجة، إلا أن والده لم يقتنع بالفكرة مطلقًا ورفضها خوفًا على ابنه من الغرق في عُرض البحر.

وكالمعتاد دخلت والدةُ درهم عليهما وهما يندفان القطن وقالت:

- لقد حان موعد الغداء، ألستما جائعين؟

نهض درهم من مكانه وكأنه ينتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر قائلاً:

- نعم، أكاد أموت جوعًا.

ردّت أمه ضاحكةً: لا أعتقد أن الجوع هو سبب سرعتك في الخروج.

ترك أبو درهم ما بيده وسألها:

- ماذا تقصدين؟ هل ملَّ مجالستي والعمل معي في حلاجة القطن؟

- لا.. إنما ملَّ قصصك الخيالية التي لا تنتهي، أمَا حان الوقت لتحكي له أشياء قد تفيده؟

- ومن قال لك إنها قصص من خيالي! هي قصص حقيقية ومليئة بالعبر.

- نعم، نعم.. ولكن لم لا تستعجل بمجيئك، لا أظن أن ابنك قد ترك لنا شيئًا لنأكله.

خرج والد درهم راكضًا من الحجرة نحو مكان جلوسهم في طرف فناء المنزل المغطى من الأعلى بقطع من الخيزران وأغصان النخيل:

- انتظر أباك يا فتى، من العيب أن تبدأ الأكل قبل جلوس أبيك.

جلس والدا درهم على مائدة الغداء، وكالعادة أخذ والده يقصّ عليهما قصصه حتى قاطعه درهم:

- كل تلك الحكايات سمعتها منك فيما سبق يا أبتِ، ألا نجد عندك أمرًا جديدًا؟ شيئًا لم نسمعه من قبل؟

هز أبو درهم رأسه وهو يقول:

- آآه.. لنرى.. نعم.. ألا تعلمان أنّ هذا المنزل الذي نسكنه كان صاحبه أحد الرحّالة في العهد العثماني.

توقف كلّ من درهم ووالدته عن الأكل وهما يمسكان الطعام كل قرب فمه، وينظران نحوه بتعجب، فتابع كلامه:

- ماذا حلّ بكما وكأنّه تم تحنيطكما، ألا تعرفان شيئًا عن هذا الأمر؟

أجابه درهم بعد أن ابتلع اللقمة التي في يده:

- وما الذي أتى به إلى هنا يا أبتِ؟

وأخذ يتبادل النظرات مع والدتِه مبتسمًا ومحاولًا كبح جماح نفسه عن الضحك، بينما واصل أبو درهم حديثه ولم يعرهما اهتمامًا:

- كان يعرف بـ«سازيران» طاف بلاد العالم هو وجماعته، وكان يُعرف بحبه لجمع التحف والكنوز، كان يجوب كلّ بقاع الأرض بحثًا عنها، وهذه الكنوز التي كان يجمعها ما كان ليخبئها في مكان واحد، خوفًا من أن يكتشف مكانها أحدٌ فيسرقها، لذلك قام بتوزيع هذه الكنوز وخبأها في أماكن متفرقة وما استطاع أحد حتى الآن أن يصل لمكان أيّ منها، ويقال أن أحد هذه الكنوز موجود في قطر، ولكن لا يعلم أحد أين هذا الكنز إلا الله.

أسند درهم ظهره إلى الحائط وقال: ربما لا يعلم هو بمكانها أصلًا.

ضحكت أم درهم وهي ترفع أطباق الطعام والسفرة المصنوعة من الخوص، التي يتم تجديلها باليد والمكونة من أوراق سعف النخيل وقالت:

- كفاك خيالًا وعد إلى ندف القطن فهناك طلبات يجب عليك تسليمها غدًا في مدينة الدوحة.

- نعم، نعم، وكذلك لا تنس يا درهم أن تذكرني بعد إنتهائنا من توزيع طلبات الأغطية والمخدات، أن نذهب إلى «سوق واقف» لنبتاع بعض الأدوات الجديدة وكمية من القطن فقد

قارب على النفاد.

كانت مدينة الدوحة تبعد مسير ثلاث ساعات عن مدينة الوكرة، حيث منزل درهـم، والواقع على الساحل الجنوبي لدولة قطر، والوكرة مدينة قديمة منازلها مصنوعة من الحصى المرصوص مع الجص الذي يمتاز بحفظ الرطوبة ليلًا فيخفّف الحرارة أثناء النهار، وكانت السقوف تصنع من الأعمدة التي تعرفُ «بالدناشل» وهى نوع خاص من الخشب يستخدم في تسقيف البيوت والمساجد والقلاع قديمًا، ولها شبابيك منخفضة كثيرًا، لتكييف المكان.

كان منزلهم يحتوي على عدد من الغرف المتراصة، فعلى الجهة اليمنى من باب المنزل الخارجي كانت هناك ثلاث حجرات، الأولى لدرهم وكانت صغيرة الحجم، والثانية لوالديه، أما الحجرة الثالثة فكانت تستخدم كمخزن للمعدّات وأدوات الحلاجة، وهي حجرة كبيرة الحجم بنفس حجم حجرة الوالدين، وأمام هذه الحجرات الثلاث وضعت مظلّة مصنوعة من أعمدة خشبية تغطي سقفها أغصانُ النخيل، وهو مكان جلوس العائلة وتجمعها، وفي الجهة الأخرى من المنزل كانت الحجرة المخصصة لعمل الحلاجة وبجانبها المطبخ وحمام صغير، بالإضافة إلى حجرة للضيوف.

بعد أن انتهيا من العمل وتجهيز ما سيقومان بتوزيعه غدًا في الدوحة، استأذن درهم والـده للخروج من المنزل لقضاء بعض الوقت مع

أصحابه، ولكن في الحقيقة كان درهم يذهب ليرى الفتاة التي قابلها صدفة وهو يوصل أغطية قام والدها بطلبها من والد درهم، ومنذ أن سقطت عيناه عليها عندما فتحت باب المنزل له، وهي لا تفارق باله.

كانت مريم من أجمل فتيات المنطقة، ذات عيون واسعة، وشعر ناعم طويل، وابتسامة ساحرة، وكالعادة كانت تفتح نافذة حجرتها ليلًا، وتطلّ منها منتظرة وصول درهم، فقد كانت تعلم بموعد مروره من أمام منزلها، وما كان الأمر يزيد عن تبادل الابتسامات الخاطفة، ومن ثم يعود درهم للمنزل، وعلى الرغم من ذهابه كل ليلة إلا أنّه كان قلقًا من أن يعلم أبوها بالأمر فيغضب ويثور، وكان والد مريم من أكبر تجار المنطقة، وعادة ما يحدّث نفسه متسائلاً:

- كيف لوالد مريم أن يرضى بتزويجِ ابنته من حلاج يندف القطن ويصنع الفرش ولا يملك مالًا!

عاد درهم ليلتها إلى المنزل متأخرًا، وقد خلد والداه إلى النوم، فدخل حجرته وتمدّد على سريره ينظر إلى السقف، يفكر.. ويفكر.. هل يخبر والديه بالأمر، أم لا؟ وظلّ على تلك الحال إلى أن غلبه النعاس.

عند بزوغ فجر اليوم التالي استيقظ درهم على صوت صياح الديك مبكرًا، خرج من غرفته، وفوجئ بوالدتهِ تخرج من المطبخ فابتسم لها قائلًا:

- كنت أعتقد أنّكِ لا تزالين نائمة.

- كلا، لقد استيقظت باكرًا لأجهّز طعام الإفطار وطعامًا لرحلتكما، فطريقكما بعيد وأنتما بحاجة للطعام.

- أمي، أريد أن أحدثك بأمر.

- ما هو يا بني؟ هل هناك ما يتعبك؟ لا تريد الذهاب مع والدك إلى السوق؟

ابتسم درهم وأجاب:

- كلا يا أماه..

وأحمر وجهه خجلًا فلم يعرف كيف يخبرها بما يشغل باله.

اقتربت منه والدته وهمست: مريم.

تغيرت تعابير وجه درهم ورد باستغراب:

- ولكن كيف!.. كيف علمتِ؟!

- آه يا ولدي، نحن والداك أتظن أننا لا نشعر بك! لقد شاهدك والدك وأنت تقف أمام منزلها، وتبادلها الابتسامات.

- ولماذا لم يقل لي أي منكما شيئًا؟

- لسنا نحن من ينبغي أن يقول يا بني، بل انتظرنا أن تخبرنا أنت بذلك. واعلم يا بني أننا نوافق على من تختار. صحيح أنّ أباك كان معترضًا في بداية الأمر ليس على الفتاة، وإنما على كونها ابنة التاجر عبدالله، وأنه لن يرضى بتزويج ابنته..

توقفت أم درهم عن الكلام للحظات ثم أكملت:

- لا يوجد ما يعيبك يا بني، فأنت تعمل وتكدّ وتجتهد، والفقر ليس عيبًا.
- نعم، هذا ما أخشاه يا أماه.
- لا تقلق يا بني فقد اقتنع أبوك بالأمر، وسيذهب لوالد مريم ليطلبها لك متى أردت أنت ذلك، وأنت تعلم طيبة وخلق أبيها وحبه لك ولوالدك، ولا أعتقد أن أمر المال مهم بالنسبة له، ونحن ولله الحمد ميسورو الحال.

قبَّل درهم والدته سعيدًا بما سمع منها، واتجه نحو الحمارين لتجهيز سرجيهما ووضع الأفرشة و الأغطية التي قام هو ووالده بصنعها، وبعد انتهائه اتجه درهم نحو حجرة والده ليوقظه.

استيقظ والده وتناولا فطورهما، ومن ثَمّ خرجا على ظهر الحمارين، ونادى درهم على والدته:

- أماه سنعود للمنزل مساءً، هل تحتاجين شيئًا ما من سوق واقف؟
- كلا يا بني وليحفظكما الرحمن.

ثم ابتسمت وهى تداعبه بقولها: لا تقلق يا درهم سأذهب وأقف مكانك اليوم.

أحمرّ وجه درهم عندما ضحك أبوه وهو يقول:

- لا تنسي أن تبلّغيها سلامه.

## ٢

كان الليل لا يزال ينسحب أمام ضوء الفجر، عندما خرج درهم ووالده في الطرقات يجرّان حماريهما بالحبال المربوطة بالسرجين، وصادفا في طريقهما إبراهيم النحاس فحياهما قائلًا:

- أسعد الله صباحكما، وما دمتما خارجين في هذا الصباح الباكر، والحماران معكما محملين بكل هذه الأشياء، فهذا يعني أنكما في طريقكما إلى السوق.
- أسعد الله صباحك يا إبراهيم، وهل تأتي معنا؟ نحن ذاهبان إلى الدوحة ومن ثم إلى سوق واقف.
- كنت هناك، ذهبت لأبتاع بعض الصفائح النحاسية، وبعت التي صنعتها فلم أرجع بشيء مما كان معي، ولله الحمد.

فردّ عليه درهم:

- جميل، وربما وفقنا الله وبعنا كل ما معنا وفوقه الحمارين.

نظر والده نحوه وقال بحزم: أبيع كل شيء إلا الحمارين.

- نعم، أعلم، ستقصّ عليّ حكايتهما الآن طول الطريق، ليكن الله في عوني أنا والحمارين.

ضحك إبراهيم النحاس وقال لدرهم:

- أتعلم صرت اشتاق لمجالسة والدك وسماع قصصه.

- يمكننا استبدال أماكننا في أي وقت، وإن شئت منذ هذه اللحظة.

تعجّب والد درهم من قول ابنه وتساءل:

- ألهذه الدرجة مللت والدك يا فتى؟

- كلا يا والدي إنما أقولها مازحًا، فأنت تعلم مقدار حبي لك ولوالدتي.

- حسنا، أترككما لتكملا طريقكما، ونلتقي على خير.

تابعا سيرهما إلى خارج المدينة بمحاذاة شاطئ البحر، وكان منظر الشروق رائعًا في ذلك الوقت؛ عندما بدأت أشعة الشمس تشقّ طريقها على سطح البحر، حيث يتجمع طائر النورس على الشاطئ، ونسيم البحر البارد يهب نحوهما.

- لقد كبرت يا بني، وأصبحت حجرتك صغيرة عليك، فما رأيك أن نقوم صبيحة غد بتفريغ المخزن، وتنظيفه ليصبح غرفة لك بعد نقل ما فيه إلى غرفتك؟

- لا بأس بذلك، ولكن سيكون العمل شاقًا. فالمخزن مليء بالأشياء القديمة.

- نعم، نعم.. وبذلك نتخلص من تلك التي لا نحتاج إليها، وننقل البقية إلى حجرتك.

- حسنًا يا أبتِ.

بعد ثلاث ساعات من سيرهما، وصلا إلى مشارف المدينة، كانت منازل الدوحة تشبه منازل الوكرة، ولكنّها أكبر حجمًا، وبعضها مبنيّ من المكعبات الإسمنتية، ويزيد عدد سكان الدوحة عن الوكرة بكثير، فقد كانت المدينة حيويّة، وتعتبر مركز التجارة، يقصدها التجار من كافة الدول والمناطق المحيطة للتسوق والاتّجار والبيع في سوق واقف.

بدأ درهم ووالده بالمرور على بعض المنازل لتوصيل طلبات الفرش والأغطية، بالإضافة إلى تعديل وإعادة ضرب الصوف في منازل أخرى، وكالعادة كان أبو درهم يجلس في وسط باحة المنزل ويتجمع الأطفال حوله ويبدأ بقصّ الحكايات عليهم وبجانبه درهم يساعده في فكّ خيوط الأغطية والمخدّات لضرب قطنها وإعادتها مرة أخرى.

بعد انتهائهما من المرور على المنازل، وكذلك إيصال جميع الطلبات لأصحابها وأخذ الجديدة منها، قصدا السوق للمرور على تجار القطن وشراء حاجياتهم. وفور وصولهما اقترح درهم على أبيه أن يذهبا أولًا لتناول الطعام.

كان الجوع يغلب عليهما فاتجها إلى مكانهما المعتاد داخل السوق؛ دكان أم أحمد التي كانت تعد المأكولات الخفيفة والشعبية مثل النخي والباجيلا، وهي من الأطعمة الشعبية مكونة من البقوليات فالنخي هو حبوب الحمص أما الباجيلا هو الفول. ولم يكن السوق

يقتصر على التجار الرجال فقط؛ فالنساء أيضًا كنّ يقمن بالمتاجرة بالمصنوعات المنزليّة والمأكولات.

كان سوق واقف يحوي العديد من المحلات المتجاورة المتلاصقة، وكان السوق كبير الحجم موزعًا بشكل مرتّب حسب المنتجات ومواد البيع، فتجد أماكن مخصصة لبيع الحيوانات والطيور، وأماكن أخرى تختصّ بالمتاجرة بالملابس النسائية، إلى جانب محلات العطارة، ولوازم المنازل والأغذية والمنتجات القطنية وكذلك السدو وهي من الحرف التقليدية والتي تعتبر العنصر الأساسي في صناعة بيوت الشعر، فالقادم إلى السوق بإمكانه أن يجد كل ما يحتاج في مكان واحد دون الحاجة إلى المرور والتجوال في السوق برمّته.

وقف درهم يشتّم رائحة الطعام التي تعدّها أم أحمد وقال:

- مساء الخير يا أم أحمد، كيف حالك؟

- مرحبًا بدرهم وأبي درهم، الحمد لله أنا بخير، كيف كان عملكما هذا الأسبوع؟

رد عليها والد درهم التحية وأردف:

- لقد بعنا كل ما جلبناه معنا، ولله الحمد، وقررنا المرور عليكِ، لنأكل من طعامك الشهي قبل الدخول إلى السوق لنبتاع حاجيّات العمل والصوف.

- حسن، ماذا تحبان أن تأكلا؟
- أنا أريد طبقًا من الباجيلا وآخر من النخي.
- وأنا مثله

في تلك الأثناء كانت والدة درهم تطحن القمح بواسطة الرحى جالسة في وسط باحة المنزل تحت أشعة الشمس الدافئة حينما سمعت طرقًا على الباب، نهضت متجهةً نحو باب المنزل، وقبل أن تفتحه سألت:

- من الطارق؟
- أنا فاطمة يا أمّ درهم.

كانت فاطمة في مثل عمر أم درهم وصديقة طفولة، وما إن فتحت الباب حتى دخلت فاطمة بسرعة وأغلقت الباب خلفها وكأن أحدًا ما كان يتبعها، فقالت أم درهم:

- ماذا بك يا فاطمة، هل هناك خطب ما؟
- كلا لا تقلقي، ولكنني رأيت أبا إصبع يحوم حول منزلكم وكأنّه يبحث عن شيء ما.

فتحت أم درهم الباب مرة أخرى وأخرجت رأسها تتفقد المكان وقالت باطمئنان:

- أعتقد أنّه ذهب، ولا وجود لهذا المتعجرف أمام المنزل.
- هل لا يزال يعرض شراء المنزل على أبي درهم؟

أغلقت أم درهم باب المنزل وأجابت:

- نعم، ولكن أبا درهم لا يريد بيع منزلنا، وقد أخبره مئات المرات بأنّه لا يفكر بتاتًا بالموضوع، ولا أعلم لماذا يصرّ أبو إصبع على شراء منزلنا، فهناك العديد من المنازل الجديدة والكبيرة في المنطقة والمعروضة للبيع.

- لا بأس نحن لا نعيره اهتمامًا، فدائمًا ما اعتقدنا بأن هذا الرجل فقد عقله منذ زمن. دعينا منه الآن، ما الذي تفعلينه وأين أبو درهم ودرهم؟

- لقد خرجا منذ الصباح الباكر إلى الدوحة لتسليم طلبات الأفرشة وبيع ما عندهما من مصنوعات، وبعد أن ينتهيا من عملهما سيمرّان على سوق واقف في طريق عودتهما، وأنا أقوم بطحن الدقيق لخبز الأرغفة وإعداد العشاء لهما، ألم أخبرك أنّ درهم قد تحدث عن أمر مريم أخيرًا؟

- حقًا، ماذا قال؟

- تعالي للداخل وسأخبرك.

تذكرت كيف علت حمرة الخجل وجه درهم عندما نطقت اسم مريم أمامه، فابتسمت، مكملة سيرها إلى محلها حيث وضعت الرحى، جلست فاطمة بجانبها لتساعدها في طحن الدقيق، فكانت أم درهم تقوم بتدوير الرحى بينما تصب فاطمة القمح داخل

الفتحة، وهما تتبادلان الأحاديث والضحكات.

في سوق واقف وبعد انتهاء درهم ووالده من تناول الطعام، اتجها إلى داخل السوق لشراء احتياجاتهما من القطن والمعدات الجديدة، وبعد مرورهما على عدد من المحلات وانتهائهما من التبضع قاما بتحميل القطن على الحمارين استعدادًا للعودة للمنزل، وكان الوقت ما بعد صلاة العصر بقليل.

- ها قد انتهينا من بيع ما أتينا به، وأخذنا طلبات جديدة، واشترينا القطن والأدوات التي نحتاجها، وحان وقت عودتنا للمنزل، فطريق عودتنا أشقّ من العمل نفسه.
- أبعد كل هذا الزمن وأنت ترافقني إلى السوق يا بني ألا تزال غير معتاد على الطريق؟
- مع حكاياتك وقصصك أصبحت لا أشعر بطول طريق عودتنا، أصبحت كأنّها دقائق لا ساعات.

ضحك أبو درهم وقال:

- أعرف ما تقصده فقد مللت حكاياتي، يومًا ما ستعرف قيمة هذه الحكايات، ولربما يأتي ذلك اليوم الذي تروي فيه تلك الحكايات لأبنائك.

في طريق العودة وبعد أن ابتعدوا عن سوق واقف صادفا مجموعة من الرجال الذين كانوا يقصدون مدينة الوكرة كذلك لزيارة بعض

أقاربهم هناك، فاقترح عليهم درهم أن يصاحبوهم في مسيرهم فهما في طريقهم إلى هناك أيضًا، وكان كذلك وأخذ الحديث ينتقل بينهم حتى وجدوا أنفسهم في المدينة مع حلول المساء، فقال لهم أبو درهم:

- لقد أنسنا بترحالكم معنا وها قد وصلنا مشارف المدينة، تفضلوا معنا لتستريحوا ولنتناول العشاء معًا ومن ثم تقصدون منزل أقاربكم.

فرد عليه أحد الرجال:

- بل نحن من يشكرك أيها الرجل الطيب، لقد تشرفنا وسعدنا برفقتك أنت ودرهم، ولا نريد أن نثقل عليكم فأنتم أيضًا بحاجة إلى الراحة بعد هذا الطريق، وإنّ أقاربنا في انتظارنا، فإلى لقاء قريب بإذن الله.

افترقت الجماعتان واتجه درهم وأبوه نحو المنزل، عبرا الممرات والحواري الضيقة بين المنازل وصولًا إلى منزلهم، طرق درهم الباب، وكانت فاطمة قد غادرت إلى منزلها فردّت عليه والدته من خلف الباب تستفسر عن القادم.

غيّر درهم نبرة صوته مازحًا:

- نحن لصوص بني تربتان، وودنا سرقة منزلكم.

التفت إلى والده محاولًا منع نفسه من الضحك. فتحت أم

درهم الباب وبيدها عصا طويلة ضربت بها مؤخرة درهم وقالت ضاحكة:

- وهل هناك لصوص يطرقون الأبواب ويستأذنون قبل السرقة!

فرد والده ضاحكاً على منظر درهم الذي أخذ يمسّد بيده على ظهره متألمًا:

- إنهم لصوص من نوع جديد يا امرأة.

- بل أيّ لص هذا الذي يضحي بحياته ويأتي لسرقة منزل أنتِ فيه! كيف حالك يا والدتي العزيزة؟

تنحّت والدة درهم عن الباب لتسمح لهما بالدخول وأجابت مرحبة:

- إنني بخير والحمد لله، وكيف كان مسيركما إلى الدوحة؟

# ٣

دخلا المنزل، وأمسك درهم بحبال سرجي الحمارين وربطها في أحد الأعمدة القريبة من الباب، وبدأ يفك الحبال عن الحاجيات الموضوعة على ظهرهما وينزلها إلى الأرض.

- الحمد الله، لنستحم ونغير ملابسنا، وسنخبرك بأخبار مسيرنا شرط أن يكون طعام العشاء قد وضع، لأنني أتضور جوعًا وكذلك ابنك.

وبعد تناولهم العشاء وإخبارها بكل ما حدث معهما في السوق حتى وصولهما إلى المنزل، تذكّر والد درهم أمر المخزن وغرفة درهم فقال:

- صحيح يا أم درهم، ما رأيك أن نخرج ما في المخزن وننقله إلى غرفة درهم، ونحوّل المخزن لغرفة جديدة له، فهو كما ترين بالكاد يستطيع دخول باب المنزل وغرفته صغيرة عليه.

ضحكت أم درهم وهي تنظر إلى ابنها:

- فكرة جيدة، سنقوم بإخراج كل ما بها وإعداد الغرفة وتجهيزها لابننا العزيز منذ الصباح الباكر.

وقفت أم درهم حاملة الآنية الفارغة ومضت قاصدة المطبخ إلا أنها وقبل أن تدخل التفتت صوب درهم وأبيه قائلةً:

- صحيح نسيت أن أخبرك أنها تبلغك سلامها.

توقفت قطعة خبز في حلق درهم ولم يفلح في بلعها وبدأ يسعل باضطراب، وتعالت ضحكات والديه، بدأ أبوه يضرب بيده على ظهره حتى يكفّ عن السعال:

- كدتِ تقتلينه!

ردّت أم درهم وهي تكمل طريقها نحو المطبخ: «ومن الحب ما قتل».

خلد الجميع إلى النوم باكراً في تلك الليلة، فقد كانت الرحلة إلى مدينة الدوحة شاقّة، وكان النسيم البارد القادم من البحر قد خفف من شدة حر النهار، واستيقظ درهم على أصوات غير معتادة في المنزل، فنهض من سريره نحو الباب لينظر سبب هذا الإزعاج في هذه الساعة المبكرة من الصباح، تفاجأ بوالديه يقومان بإخراج ما في المخزن:

- صباح الخير لماذا لم توقظاني لأساعدكما؟

ردّت عليه والدته وهي تمسك بصندوق خشبي وتضعه مع مجموعة من الأغراض الموجودة في فناء المنزل:

- لا تقلق لا يزال هناك الكثير، ولم يفتك إلا القليل، تناول فطورك وتعال لمساعدتنا في إخراج الأغراض، واستمتع معنا بهذه الكميات الكبيرة من الأتربة.

ابتسم درهم:

- لا بأس سأتناول فطوري لاحقًا، لا أشعر بالجوع الآن سأغتسل وأصلي ثم آتي لمساعدتكما.

دخل درهم إلى الحجرة لمساعدة والديه في نقل الأغراض والأدوات التي كانت تملأ المكان، وقال:

- لم أكن أتصور أنّ هذا المكان يحتوي كل هذه الأغراض إلّا الآن.

- لم تفعل شيئًا بعد وبدأت تشتكي، أتريد أن نُرجع ما أخرجناه أنا ووالدتك، لم نخرج الكثير فمن السهل إعادته، ونتغاضى عن فكرة إعطائك الغرفة.

كأن درهم لم يسمع شيئًا من حديث والده فأخذ يحمل كل ما يستطيع أن يصل إليه ويخرج به إلى باحة المنزل، وكانت والدته في الخارج تقوم بفصل الأشياء ووضع ما لا يحتاجونه جانبًا، لإعطائه للفقراء لاحقاً بدلاً من رميها، وخلال ساعات كانوا قد انتهوا من إخراج كل ما في الحجرة.

سحب درهم وأبوه قطع السجاد القديمة المفروشة على الأرض الغارقة بالغبار والرمل إلى خارج الغرفة، وعاد درهم بعد ذلك لينظف الحائط بمكنسة يدويّة صغيرة مصنوعة من سعف النخيل، وبينما كان يمسح بجهد لاحظ قطعة حديديّة ملساء مدوّرة تبرز

قليلًا من الحائط، فمال مقتربًا منها:

- ما هذه القطعة الحديدة؟!

وأخذ يضرب عليها بإصبعه فيصدر عنها صوت حاد.

أخرج والده قطعة السجاد الأخيرة وعاد لينظر إلى ما وجده درهم:

- ربما كانوا قد وضعوها هنا عندما بنوا الجدار لغرض ما، أو نسوها ولم يخرجوها بعد أن انتهوا.

- إنها لا تشبه الأدوات المستخدمة في البناء، أليس كذلك؟

دخلت والدة درهم عليهما وهما منشغلين بأمر القطعة الموجودة بالحائط:

- تركتما كل العمل وكومة الحاجيات المبعثرة في الخارج لتتفحّصا قطعة حديدية وضعت في الحائط! ها قد وجد والدك شيئًا يروي حوله قصصًا جديدة، «القطعة الحديديّة في حائطنا التاريخيّ»، يا لها من قصة مشوقة!

- لا، لا أستطيع تحمّل قصة جديدة.

وضرب درهم بيده على القطعة الحديدة فتحركت من مكانها:

- آآه ما أشد قوتي لقد أزحتها من مكانها.

مد أبو درهم يده محاولًا انتزاعها من الحائط، وقام بتحريكها باتجاهات مختلفة حتى أخرجها من مكانها، قال وهو يتفحصها:

- إنها.. إنها..

قاطعته والدة درهم:

- إنها يد الهاون التاريخيّة التي سوف آخذها منك وأطرق بها رأسك ورأس ابنك حتى تأتيا لمساعداتي.

أعطى أبو درهم يد الهاون لدرهم واتجه نحوها: ها أنا آتٍ لمساعدتك.



فقاطعه درهم قبل أن يخرج:

- ألا تجد أنها أخفّ من يد الهاون التي تستخدمها والدتي!

عاد أبو درهم إلى ابنه مسرّعا: نعم لقد لاحظت ذلك.

أخذ درهم يتفحّص يد الهاون ويقلّبها بين يديه ويطرق عليها بإصبعه، وهو يقربها من أذنه:

- كأنها مجوّفة من الداخل.

اقترب والده أكثر وأخذ ينظر إليها متعجبًا:

- هل تعتقد أنّ لها غرضًا آخرَ غير طحن القهوة؟

أمسك درهم بطرفي يد الهاون ولفّها، فدار نصفها السفليّ بعكس

النصف الآخر، وانقسمت إلى جزئين، أخذ درهم ووالده يتبادلان علامات الاستغراب وارتسمت على وجهيهما علامات تعجّب، حينها اقتربت والدة درهم منهما وهي تنظر إلى وجهيهما وقالت:

- كل هذا الاستنكار والتعجب بسبب هذه القطعة؟ لدي مثلها في المطبخ هل أجلبها لكما؟

لم يعرها درهم ووالده أيّ اهتمام وكأنها لم تكن تتحدث إليهما، وشرع درهم يبعد القطعتين عن بعضهما في هدوء وببطء وكأنه يكتشف أمرًا جديدًا.

نظرت والدة درهم إلى يده:

- يا الله هذه يمكن فتحها، كيف ذلك!

ما إن فتح درهم يد الهاون تلك حتى وجدوا في داخلها لفافة من الورق مشققة الأطراف، بدا كأنها تعود لزمن مضى. سحب أبو درهم اللفافة من داخلها، وفتحها ببطء حتى لا تتمزق، وكان في أسفل اللفافة نص مكتوب بطريقة غريبة.

هـ عـــــك حــلول فصل الربيع
تتساقط قطرات ـــــ العمود لتدل
وتستطع ما لحلما

حاول درهم قراءتها ولكنّه لم يستطع:

- ما هذا؟

- أعتقد أنها خريطة أو ما شابه ذلك.

- ولكنها خالية تقريبًا، ولا يوجد فيها سوى هذه الكتابة الغريبة، كيف يمكن أن تكون خريطة!

- هذه ليست كتابة غريبة، اعتقد أنها «الرسم العثمانيّ»، كان هذا الرسم يستخدم في كتابة القرآن الكريم في القرون الماضية، والآن نادراً ما تجد أحدًا يستطيع قراءتها، فهي خالية من النقاط ورسم حروفها يختلف عن الكتابة العربية التي نعرفها.

قاطعها صوت والد درهم وهو يتحدث ببطء شديد وعينه مرتكزة على تلك الورقة:

- «وعند حلول فصل الربيع، تتساقط قطرات الزهور، لتزيل ويسطع ما تحتها»

التفتت إليه والدة درهم وعيناها مفتوحتان على اتساعهما، وبدا عليها الذهول والخوف:

- ماذا حلّ بك؟ ما الذي تقوله؟ يا إلهي لقد فقد والدك عقله، لا تمسك بالورقة يا بني، إنها ورقة مسحورة.

- من الذي فقد عقله يا امرأة، إنني أقرأ ما كتب على الورقة.

- ومنذ متى وأنت تستطيع قراءة الرسم العثمانيّ؟

أجابها وهو يقلّب الورقة:

- منذ زمن، ولكن ماذا يقصد بهذه الجملة؟ فصل الربيع وقطرات الزهور، فيسطع ما تحتها!!

- ما الذي تفكر فيه يا أبتِ؟

- أعتقد أنها أحجية، كتبها أحدهم لشيء ما، أو يقصد مكانًا ما، أعتقد أنها خريطة «كنز سازيران» الذي حدثتكم عنه فيما مضى.

عاد يقلب تلك الورقة لعله يجد فيها شيء آخر غير تلك الكلمات:

- ولكن أين هي الخريطة؟

- هل هي موجودة فعلًا! لقد كنت أظنّ أنّها مجرد حكاية ككل الحكايات والأساطير التي كنت تقولها لنا.

رد عليه والده، وكان أكثرًا حزمًا واصرارًا فيما يقول:

- نحن نسكن منزلًا كان له فيما سبق، وها نحن نجد ورقة غريبة مخبأة في هذه الحجرة، ربما لا يزال الكنز موجودًا في مكان ما، أمر «سازيران» ليس أسطورة يا بنيّ.

نسي الجميع موضوع تجهيز الغرفة، وجلسوا في منتصف المكان يحيطون بالخريطة ويفكرون في حل اللغز. كل واحد منهم يقترح

فكرة لحلّ الأحجية، ولكن دون فائدة، فاقترحت عليهم أم درهم الخروج من الحجرة والجلوس في باحة المنزل، ليهدئوا ويرتشفون كأسًا من الشاي، بدل جلوسهم في مكان يملأه الغبار.

## ٤

جلسوا في باحة المنزل، ووالد درهم يحدّثهم كيف كان الناس يتناقلون أخبار الكنز في ما مضى، ومدى عظمة وقيمة المقتنيات والذهب والأحجار وغيرها من الأشياء التي لا تخطر على بال أحد، وكيف كانوا قديمًا يسعون للبحث عن ذلك الكنز في كلّ مكان ولكن دون جدوى أو فائدة، قاطعه درهم قائلًا:

- فهمت الآن لماذا يصرّ أبو إصبع على شراء منزلنا.
- نعم أعتقد ذلك يا بني، فلا يزال يعتقد أن الكنز حقيقيّ وموجود، وبما أن هذا المنزل هو المكان الذي كان يختبئ به سازيران ومن معه من الرجال؛ فربما كان يتوقّع وجود ما يدل على مكان الكنز هنا، ويبدو أن ظنّه في محلّه.
- ولكن ما الفائدة من مجموعة من الكلمات التي لا معنى لها؟ أنا أقترح أن تنسى أنت وابنك أمر هذه الورقة، ونعود لنكمل ما بدأنا به.

مسح أبو درهم بيده على الورقة:

- ربما يا والدي يقصد أن شيئًا ما يزيل ما عليها، ولكن «فصل الربيع، وقطرات الزهور»! لا أستطيع معرفة ماذا يقصد بتلك الأشياء.

- لا أعلم يا بني لعلّه قصد بها الندى المتجمّع على أوراق الأشجار، هل تعتقدون إن سكبنا عليها الماء ربما ظهر شيء آخر؟

سمع الجميع طرقًا على الباب، فرفع والد درهم رأسه عن الخريطة متجهًا بنظره نحو باب المنزل وهو متسائلًا:

- من سيأتي إلينا في هذا الوقت؟

نهضت والدة درهم تسير نحو الباب لترى من الطارق وقالت:

- لربما كانت فاطمة، فقد زارتني حين كنتما في الدوحة، وساعدتني في طحن الدقيق، من الممكن أن تكون هي.

وقفت خلف الباب وسألت: من الطارق؟

فجاءتها الإجابة:

- أنا زمردة، زوجة أبي إصبع.

فتحت أم درهم الباب قائلة:

- أهلا وسهلًا بك، تفضلي يا زمردة، ما هذه الزيارة المفاجأة!

على الرغم من كبر عمر زمردة إلا أن ملامحها لا تزال توحي بأقل من عمرها، فقد كانت ترتدي ثوبًا فضفاضًا طويلًا ووشاحًا أسود شفافًا يغطيها من الرأس حتى خصرها. وطالما اعتقدت أم درهم أن زمردة طيبة القلب بخلاف زوجها أبي إصبع.

قبّلت أم درهم زمردة وحيّتها. عندما دخلت زمردة المنزل وهي تقول:

- كنت في زيارة لأقاربي، وعند عودتي مررت أمام منزلكم فقلت لم لا أعرج عليكم لأطمئن على أحوالكم.

ثم نظرت إلى درهم ووالده اللذين كانا لا يزالان على الحال نفسها، جالسين على الأرض متقابلين ينظران إلى الورقة.

ألقت زمردة عليهما التحية ولكنهما لم يجيبا، فارتفع صوت والدة درهم:

- ماذا بكما! زمردة تسلّم عليكما فردّا السلام!

ألتفت كلاهما نحوها وردّا معًا دون تركيز:

- أهلا.. أهلا.

وعادا إلى الورقة. قالت زمردة متعجبة:

- ماذا بهما زوجك وابنك؟ ما بالهما؟ ولمَ كلّ هذه الحاجيّات الملقاة هنا، هل أنتم راحلون لمنزل آخر؟

ردّت عليها أم درهم وهي محرجة من تصرّف درهم ووالده:

- لا.. لا، إننا ننقل ما في المخزن لحجرة درهم وستكون هذه غرفته الجديدة فهي أكبر حجمًا.

- وبماذا هما منشغلان هكذا؟

- خلال نقلنا أغراض المخزن للخارج وجدنا هذه الورقة التي ينظران إليها مخبأة داخل يد الهاون والمدفونة داخل حائط الحجرة.

- ولماذا كلّ هذا التركيز؟
- زوجي يقول إنها قد تكون خريطة لشيء ما أو ربما كنز، كما يقول فمنزلنا كان تسكنه مجموعة من الرحالة في العهد العثمانيّ، يجمعون الكنوز، وأشياء أخرى ليتني أستطيع فهمها، فخيال زوجي وقصصه لا تنتهي ولا حدود لها.
- لقد سمعت نفس هذا الكلام من زوجي، حينما كان يتحدث مع أحدهم عن كنوز وأموال في مكان ما لا يعلم بها أحد، وقد تناهى مسمعي أمر منزلكم، وتفاصيل مما ذكرتِ. هل تعتقدين أنّها حقيقة وأنّ الكنز موجود فعلًا؟

أمسكت أم درهم بيد زمردة تسحبها قائلة:

- تعالي للداخل لنشرب كوبًا من الشاي ونترك أمر هذه الورقة لهما، فهي خالية لا يوجد بها سوى مجموعة من الكلمات التي لا معنى لها.

وبعدما دخلا حجرة الضيوف، أحضرت أم درهم الشاي وقدمته لزمردة وهي تسألها:

- ألا يزال زوجك يتحدث في أمر منزلنا؟

تغيّرت ملامح وجه زمردة وهى ترتشف الشاي، وقالت بحرج:

- اعذريني فأنا أعلم لأي مدى يزعجكم زوجي في هذا الشأن، وكما تعلمين لو كان الأمر بيدي لأوقفته، ولكنّه لا يستمع

إلّا لنفسه، وكلما تحدثت إليه في الأمر ثار في وجهي.

- أعلم ذلك، ولكن الأمر وصل به إلى أن يحوم حول منزلنا في الوقت الذي ذهب فيه درهم ووالده إلى الدوحة، ولا يوجد أحد غيري في المنزل، ولم أخبر أبا درهم بالأمر حتى لا يتشاجر معه.

نهضت زمردة بعد أن شربت الشاي وهي تعيد وضع وشاحها على رأسها:

- أنا أعتذر وبشدة يا أم درهم، إنني محرجة جدًا مما فعله زوجي، ولكن ما باليد حيلة، لن أطيل عليكِ فكما أرى أمامك عمل طويل، هل تحتاجين للمساعدة في ترتيب تلك الأغراض ونقلها؟

- شكراً لك، سيساعدني درهم ووالده، وإلا حرمتهما طعام الغداء.

ضحكت زمردة وهي في طريقها للخارج ومازحت أم درهم قائلة:

- لا أعتقد أنك تستطيعين فعل ذلك بهما، وإن احتجتِ أيّ مساعدة لا ترددي في أخباري، فهذا أقل ما أفعله للتكفير عن أفعال زوجي المشينة.

فتحت أم درهم باب المنزل وهي تقبّل زمردة وتقول لها:

- لا عليك لن يطول الأمر، في النهاية سيملّ أبو إصبع ويقتنع بأنّ فكرة بيع المنزل مستحيلة، إلى اللقاء ولا تطيلي غيابك، عودي لزيارتنا في أقرب فرصة.

- وأنت كذلك.

أغلقت أم درهم الباب وعادت تنظر نحو درهم وزوجها وتحدثت بصوت مرتفع:

- أنتما الإثنان ألا تزالان مستلقيين ووجهكما معلّق بتلك الورقة، ألا تريان كمّ الحاجات الملقاة في وسط المنزل، أم أنكما تريدان النوم وسطها هذه الليلة!!

أعاد أبو درهم لفّ الورقة وأعطاها لدرهم، وقال له:

- أعدها في يد الهاون وخبئها جيدًا وتعالَ لنكمل عملنا، وسنرى ما يمكن فعله بعد الانتهاء من تجهيز غرفتك.

مر النهار سريعًا، وهم ينقلون الأغراض والمعدّات لغرفة درهم القديمة وكانت أم درهم تجهّز وترتّب غرفة درهم، وعندما انتهوا من نقل كل شيء استلقى درهم وأبوه في فناء المنزل تحت المظلّة المصنوعة من الخيزران وسعف النخيل، وغلبهما من شدة التعب نوم عميق.

خرجت أم درهم من الغرفة وهي تقول:

- ها قد انتهيت يا ولدي من ترتيب..

نظرت نحوهما قالت متنهدة:

- آآه ما أجملكما.. الحمد لله الذي رزقني زوجًا محبًا وابنًا صالحًا.

جلبت غطاءين لهما، وغطتهما بهدوء حتى لا توقظهما، ورفعت رأسها وهي تنظر للسماء الملأى بالنجوم المزيّنة بالقمر، وحدّثت نفسها بأن الليل قد حلّ.

دخلت غرفتها وتمددت على سريرها فتذكرت أمر الورقة وما كتب فيها، فعادت تكرر تلك الكلمات التي سمعتها من زوجها مرارًا:

- قطرات الزهور.. قطرات الزهور.. قطرات..

ومرّ الوقت دون أن تشعر فأغمضت عينيها قليلًا.. ولسانها لازال يتحرك مردداً تلك العبارة إلى أن صاحت فجأة وقفزت من مكانها وهي تضع يدها على فمها وكأنها تألمت من شيء ما، وبصعوبة ولازال الألم بها قالت:

كل هذا بسبب ماء الزهر اللعين..

وفجأة توسعت عيناها وكأنها اكتشفت شيء ما لم يكن في الحسبان:

- ماء الزهر!! أن نغمس الخريطة بماء الزهر.

نهضت في عجالة وهي تركض خارجًا وتنادي:

- درهم.. درهم.. أين وضعت الخريطة؟

فزع درهم وأبوه من نومهما:

- ماذا بك يا امرأة؟ ماذا حدث؟

لم تعر أبا درهم اهتمامًا وظلّت تسأل درهم عن مكان الخريطة:

- لقد عرفت ماذا يقصد بقطرات الزهور، إنّه يقصد بها ماء الزهر، أن نغمسها بماء الزهر.

كان الوقت حينها قد اقترب من الفجر، نهض كل من درهم وأبيه، وركض درهم نحو المطبخ ليجلب يد الهاون ودخلت أمه خلفه لتجلب ماء الزهر، بينما أبو درهم يدور حول نفسه قائلًا:

ماء الزهر.. ماء الزهر لقد ذهبا ليجلبا الخريطة.. وماء الزهر.. ماذا أفعل.. ماذا أفعل..

توقف عن الحركة يحاول أن يجمع رباطة جأشه وعدل هندامه وبسرعة جلس في محله قبل أن يلاحظ أحد منهم حماسته المفرطة، وقال لنفسه مستنكراً:

ماذا بك يا أبى درهم.. أجلس وأنتظرهم حتى يعودا..

لم تمضى لحظات حتى عادا إلى أبي درهم بالخريطة وماء الزهر، ففتح درهم الخرطة ووضعها على الأرض أمامهم بينما ناولت أم درهم ماء الزهر لأبيه، فسألهما:

- هل أسكبها على الخريطة؟

اقترب أبو درهم من الخريطة أكثر، وقال مشككاً:

- لا أعتقد أنه يفترض بنا أن نسكب ماء الزهر على الورقة، لنمسح ماء الزهر على الخريطة بقطعة من القماش حتى لا تتلف.

أخذ عمامته وسكب عليها القليل من ماء الزهر. تناول درهم العمامة من يد والده ومسح بها على الورقة، ولكن لم يتغير شيء على الورقة، نفذ صبر والدة درهم، فأخذت زجاجة ماء الزهر وفتحت الغطاء مرة أخرى وهي تقول:

- ربما يجب أن نسكب عليها زجاجة ماء الزهر كاملة.

وبسرعة سحب درهم الزجاجة من يدها وقاطعها قائلًا:

- أمي سوف تفسدينها انتظري قليلًا.

رفع درهم الورقة وقربها من وجهه ونفخ عليها، وعندها بدأت رسوم تظهر على الورقة تدريجيًا، فقال:

- انظرا هناك شيء على الورقة غير تلك الكلمات.

فاستمرّ ثلاثتهم بالنفخ عليها حتى ظهرت خريطة كاملة، رسم لإحدى القلاع من الأعلى، وفيها برجان دائريان، وفي الزاوية اليمنى منها مبنى كبير مربع الشكل وعلى يسار الخريطة ظهرت كتابة عثمانية جديدة.

صاح درهم:

- إنه رسم لقلعة ما؟ ألا تعتقدان ذلك، ولكن ما دخلها بالكنز؟

- لا أعلم يا بني ولكن أنظر هنا.

أشار بإصبعه ناحية الكتابة العثمانية الجديدة.

حـــــل مسـدر السـاحـل والطـسـود
الداحـلـه ه سر الـمـحـسل

حينها وضعت أم درهم كفيها على وجهها: يا إلهي لغز جديد؟

نظر إليها أبو درهم باستغراب وقد تذكر شيء مهمًا، فسألها:

- ولكن كيف عرفتِ أنّه قد قصد بالأولى ماء الزهر؟

فأنزلت يدها وأمسكت بالزجاجة وقالت:

- عندما انتهيت من ترتيب حجرة درهم، خرجت ووجدتكما نائمين، ولم أشأ أن أُوقظكما فقد كان الوقت متأخرًا، واتجهت نحو حجرتي واستلقيت على السرير وعدت للتفكير في أمر الورقة وما كتب عليها، فأخذت أكررها حتى تعبت، فأغمضت عينيّ قليلًا وأنا أردد تلك الكلمات، فإذا بي أعضّ لساني فانطلقت منه عبارة «ماء الزهر»، فعرفت أنه يقصد بها ماء الزهر.

ارتمى كل من درهم ووالده على الأرض ضاحكين، وأم درهم تنظر إليهما متسائلة:

- ماذا بكما لماذا تضحكان؟

## ٥

رد عليها درهم وهو يحاول أن يمسك نفسه عن الضحك:

- كنت جالسة على سريركِ لأكثر من ست ساعات وأنت تردِدين الكلمات ذاتها، ولم تنامي وعضضت لسانك، فلم تستطيعي قولها، ومن شدة الألم حوّلتها من قطرات الزهور إلى ماء الزهر.

كان أبو درهم لا يزال يضحك على ما قالته زوجته وهو يقول لدرهم:

- ولكن لا تنسى يا ولدي أنّ الفضل يعود لوالدتك في حلّها.

وقال وهو يعتدل في جلسته مواصلًا الضحك:

- لنرى الآن..

عاد أبو درهم ينظر إلى الخريطة بعد ما اتضح كل ما فيها، وقال:

- أعتقد أن هذه الكتابة وصف للمدينة والمكان إن ما خاب ظني.

وقام بقراءة الكلمات الجديدة بصوت واضح حتى يسمعانها:

- «خلف مسكن الساحل، والطيور الراحلة، وبين البرجين».

مرت عليهم ساعات وهم يحاولون حل ذلك اللغز الجديد، وأشرقت عليهم شمس الصباح، فوقفت أم ردهم عندما شعرت

بالملل من تلك الخريطة، وذهبت لتعدّ الشاي وطعام الإفطار، بينما استمر الاثنان في مناقشة الكتابات والتفكير فيها.

استفسر درهم:

- «خلف مسكن الساحل»، أيقصد بها مدينة قريبة من الساحل يا أبتِ؟ نحن نسكن على الساحل، وهناك أيضًا مدينة الدوحة، والعديد من المدن الواقعة قرابة الساحل.

- ولكنّ الطيور الراحلة، وهي طيور النورس الموسميّة لا تتجمع على سواحل الدوحة، إنما على سواحل الوكرة، وقد شاهدناها صباحًا عندما كنّا في طريقنا نحو السوق.

صمت والد درهم لثوان معدودة يتمعن في الخريطة وقال مستنتجًا:

- نعم.. وجدتها..

- ما الذي وجدته؟

- أظنه يقصد بها قلعة الوكرة القديمة، الواقعة خلف مدينتنا مباشرة، وإن لها برجين دائريين كما هو مرسوم بالخريطة، أتذكر هذا البناء الكبير الموجود بها.

عادت والدة درهم تحمل الشاي والفطور، وسألت زوجها عندما سمعت ما قاله:

- هل تعتقد أن الكنز هناك؟ لقد أصبحنا أغنياء! يا إلهي!

ردّ عليها والد درهم بصوت منخفض، وكأن هنالك أحدًا غيرهم في المكان ولا يريده أن يسمعهم:

- لا تخبري أحدًا عن هذا الأمر، ربما يكون الكنز هناك، وربما لا، ولكن علينا أن نكون أكثر حرصًا، حتى لا يخرج أهالي الوكرة جميعهم نحو المكان فيضيع الكنز، ألا تعلمين بالقيمة التاريخية التي يحملها هذا الكنز؟

اقتربت منه أم درهم وهي تهمس له بصوت مثل صوته:

- ولكن لماذا تتحدث بصوت منخفض هكذا؟ لا يوجد سوانا هنا.

ضحك درهم عليهما، واستمر أبوه في الحديث ولكن هذه المرة بصوت عادي:

- على حد علمي وكما تقول الروايات أن الكنز يتكوّن من مجموعة كبيرة من التحف الأثرية والتماثيل، وكميات كبيرة من الذهب، وإن كنّا نحن من اكتشف كنز «سازيران» فسيذكر التاريخ أسماءنا مقرونة باكتشاف هذا الكنز العظيم.

وقف درهم وقال:

- هل نذهب إلى هناك الآن؟

قاطعه أبو درهم وهو يلفّ الخريطة:

- كلا ليس الآن، هناك تجهيزات يجب أن نقوم بها قبل أن نبدأ هذه المغامرة.

- وما هي تلك التجهيزات؟

- معدّات وغيرها من الأشياء التي يمكن أن نحتاج لها في رحلتنا يا بني.

في تلك الأثناء كانت زمردة تجلس مع أبي إصبع لتناول طعام الإفطار وتذكّرت الخريطة التي وجدوها في بيت أبي درهم، فقالت فجأة:

- صحيح يا أبا إصبع ألم أخبرك أنني كنت عند أم درهم البارحة.

رد عليها أبو إصبع ببرود والطعام يملأ فمه:

- وهل وافقوا على بيع المنزل؟

- كلا، فقد حدثتني أم درهم عن أمر تجوالك حول منزلهم، عندما كان درهم ووالده في مدينة الدوحة، أليس من العيب أن تحوم حول منزلهم حين لا يوجد في المنزل غيرها؟

لم يعجب أبا إصبع حديث زوجته، وردّ عليها بنبرة غاضبة:

- ومن قال لك إنني كنت أحوم حول منزلهم! لقد كنت في طريقي للدكان ومررت هناك.

وفي محاولة منه ليغيّر مجرى الحديث سألها:

- هل عاد الحلاجان من الدوحة؟

- نعم، ولكنهما كانا مشغولين بورقة ما وجدوها مخبأة في

الحجرة التي كانوا يستخدمونها لوضع مقتنياتهم القديمة وأدوات الحلاجة.

توقف أبو إصبع عن الأكل وكان جلّ تركيزه على ما قالته زوجته وقطعة الخبز في يده وسألها بانفعال:

- ماذا قلتِ؟ ماذا وجدوا؟

لم تعر زمردة الأمر اهتمامًا وقالت:

- قطعة من الورق، مكتوبة عليها عبارة لم يفهموها كما أخبرتني أم درهم.

نهض من مكانه وكأن أفعى لدغته وهو على عجله من أمره، فرمى قطعة الخبز التي كانت في يده وهو يصيح:

- لِمَ.. لمَ تخبريني بالأمر أمس عندما عدتِ إلى المنزل؟

- لم يخطر الأمر ببالي أمس.. إلى أين تذهب مهرولًا في هذا الصباح الباكر؟

خرج أبو إصبع من منزله مسرعًا دون أن يجيب زمردة التي لا تزال جالسة مكانها تنظر إليه بدهشة متعجّبة مما حل به فجأة.

زفي المنزل هناك كان أبو درهم قد بدّل ملابسه وقال لابنه وهو يهم بالخروج:

- انتظر هنا قليلًا مع والدتك، سأذهب إلى سوق المواشي لأشتري شيئًا وأعود.

- ما هو؟

- ستعرف عندما أعود..

كان أبو إصبع قد خرج من منزله وهو يمشي بخطوات سريعة أقرب إلى الركض متجهًا صوب منزل أبي درهم عندما لمحه وهو يخرج من المنزل، وبسرعة اختبأ خلف أحد الجدران حتى لا يراه، وظل يمشي خلف أبي درهم حتى وصل سوق المواشي.

غيّر أبو إصبع اتجاهه ودخل السوق من مكان آخر متجهًا نحو أبي درهم الذي كان يقف ويتحدث مع أحد بائعي الأبل، توقف بمحاذاته وحاول جعل الأمر يبدو وكأن لقاءهما محض صدفة وقال:

- مرحبًا أبا درهم كيف حالك؟

- أهلًا.. أهلًا أبا إصبع، بخير والحمد لله، كيف حالك أنت؟

- بخير، بخير ما الذي أتى بك إلى سوق المواشي في الصباح الباكر على غير عادتك؟

- لا شيء، أتيت لأشتري جملين بدلًا من الحمارين، فقد كثر عملنا وزادت الحمولة، ولا يستطيع الحماران، حمل كل شيء.

مشى أبو إصبع قليلًا يتفقد الجملين، وهو يتحدث إلى أبي درهم:

- وماذا عن أمر الورقة التي وجدتموها في المنزل؟ هل علمت الغرض منها؟

استغرب أبو درهم علمه بأمر الورقة، فأجابه متعجبًا متلعثمًا:

- الورقة!!

رد عليه أبو إصبع وهو يمسح بيده على ظهر أحد الجمال النائخة:

- نعم، أخبرتني زوجتي أنها زارتكم أمس، وأنّكم قد وجدتم ورقة ما مخبأة في إحدى الحجرات بمنزلكم.

حاول أبو درهم ألّا يعطي الأمر أهميّة فقال:

- إنها مجرد ورقة خالية، لا يوجد بها شيء، ولم نعرها اهتمامًا، أعتقد أن درهم قد رماها.

وعاد يكمل حديثه مع بائع الجمال:

- أريد هذين الجملين.

غادر أبو إصبع المكان متجهًا نحو دكانه، وهو يتمتم ويتحدث إلى نفسه طوال الطريق، لم يعجبه رد أبي درهم، وكان الغضب باديًا على وجهه، فقد كان المارة يبتعدون من طريقه وهم ينظرون إليه باستغراب، وما إن وصل إلى دكانه حتى اتجه بكلامه إلى أحد الجالسين من أصدقائه، وكان قصير القامة وله عينان صغيرتان وشعر قصير منكوش يلقب بـ «جحدر»:

- إنني أعلم أنّه يخفي أمرًا ما.

نهض جحدر من مكانه وقال:

- ماذا بك؟ وكأن مصيبة قد وقعت عليك، أراك تحدّث نفسك من بعيد!!

جلس أبو إصبع على الكرسى بجانبه وهو يضرب بكفيه على فخذيه ويقول:

- لقد وجد أبو درهم الخريطة، خريطة كنز سازيران، لقد وجدها في منزله، وأنا أعلم أنه يعرف تمامًا أنها خريطة الكنز، ولكنه يتصرّف وكأن الموضوع لا يهمه، ويدّعي أنها مجرد ورقة خالية، وقصد سوق المواشي ليشتري جملين، من المؤكد أنه يعلم مكان الكنز لهذا يشتري الجملين ليحمل الكنز عليهما.

- يجب أن لا نترك أمر الكنز له، فإن كان قد وجد الخريطة؛ ما الذي ستفعله؟

نهض أبو إصبع من مكانه وهو يتمتم ويفكّر فيما سيفعل فقد كان العثور على ذلك الكنز أهم شيء في حياته وها قد عثروا على الخريطة قبله وسيصلون إلى الكنز وسيصبح لهم.

عاد أبو درهم إلى المنزل وفتح الباب وهو يجرّ الجملين إلى الداخل، ومن ثم قام بربطهما في عامود آخر قرب الحمارين، ووقف كل من درهم ووالدته ينظران إليه بتعجّب، وراح درهم يتفحص الجملين

غير مصدّق عينيه وهو يمسح بيده عليهما، وكانت أم درهم تتحدث مع زوجها بصوت منخفض حتى لا يسمعها درهم:

- من أين لك المال لتشتري هذين الجملين؟!

فأخبرها زوجها بأنه أنفق المال الذي كان يجمعه لزواج درهم، وطمأنها قائلًا:

- لا تقلقي، فإن وجدنا الكنز سيكون لدينا المال الكافي لشراء مئة جمل مثلهما.

- ولكن يا أبا درهم وإن لم تجده؟

- لا تشغلي بالك، فأنا أعلم أن هذا الكنز موجود، وما علينا سوى أن نذهب ونكتشف مكانه.. وبعد ذلك ستتحسن كل أمورنا بإذن الله.

لم ينتبه درهم للحديث الدائر بين والديه فسأل والده:

- لماذا هذان الجملان يا أبي؟

أغلق أبو درهم باب المنزل:

- إنهما لرحلتنا الجديدة يا بني، فهل تعتقد أننا سنذهب للبحث عن الكنز على الحمارين!

- هل ستذهبان لوحدكما، وتتركاني هنا وحدي؟

هز أبو درهم الحبال ليتأكد من ربطه الجملين مجيبًا على سؤال زوجته:

- لا أعتقد أنك تتحملين مشقة السير والبحث، فالطريق طويلة، وربما صادفتنا بعض العقبات، إن من الأفضل لك أن تبقي في المنزل حتى نعود.

وتابع قائلاً:

- هل تعلمون ما الغريب في الأمر؟

ردّ عليه درهم مستفسرًا:

- وما هو يا أبي؟

جلس أبو درهم في فناء المنزل وقال:

- لقد صادفت أبا إصبع في سوق المواشي، وأخبرني بأمر الورقة، فتعجّبت كيف عرف بأننا وجدنا تلك الورقة!

- لربما أخبرته زوجته زمردة، فقد أتت أمس ووجدتكما منشغلين بالورقة، فأخبرتها.

- ولكنني طلبت منك ألّا تخبري أحدًا بالأمر! ها قد علم، ولكنني قلت له إننا رمينا الورقة، ولم أعر الأمر اهتمامًا، ولكن لا أعتقد أنه اقتنع بما قلت.

حكّت أم درهم رأسها قائلة:

- لقد قلت لي أن لا أخبر أحدًا بعد أن ذهبت زمردة، وكنت أنت ودرهم غريبي المنظر وقتها، فلم يخطر ببالي أمر أبي إصبع.

## ٦

جلس درهم بجوار والده قائلًا:

- ليعلم، فلا يستطيع فعل أيّ شيء فالخريطة معنا، ولا يعلم بما تحتويه.

- نعم.. نعم، ولكنني لا أثق به، فأنت لا تعلم مدى عناد هذا الرجل، ولديه حفنة من الأصدقاء سيئي الطباع.

توجهت أم درهم نحو المطبخ وهي تقول:

- وتريدان تركي في المنزل وحدي، ربما دخلوا إلى المنزل وقتلوني وأنتما تحتفلان بالكنز.

رد عليها أبا درهم بجدية:

- ومن قال إنك ستبقين وحدك في المنزل، اطلبي من صديقتك فاطمة أن تأتي وتمكث عندك حتى نعود.

تناولوا طعام الغداء وهم يتحدثون ويناقشون أمر الخريطة وما يمكن أن يجدوه في قلعة الوكرة. انتهى النهار، وغابت الشمس، وخلد الجميع إلى النوم عدا أبي درهم الذي كان يفكر في ما سيفعله غدًا، وما الذي يحتاجه من تجهيزات؛ فقد كان ينتظر هذا اليوم منذ زمن بعيد؛ رحلة ومغامرة يعيشها مع ابنه، ويكتشف خلالها أحد أكبر وأهم الكنوز التاريخية.

كان ينتظر مثل هذه الفرصة، تجربة فريدة تجمعه بابنه غير عمل القطن والوسادات، وعلى وقع تلك الهواجس والأفكار غارت عيناه ونام في ترقّب تلك الليلة.

استيقظت أم درهم في الصباح الباكر على صوت رغاء الجمل، وعلامات الرعب تعلو وجهها، فقد نسيت أن زوجها جلب جملين أمس، وقد تعودت على نهيق الحمارين.

خرجت من حجرتها وكان درهم قد استيقظ قبلها وهو يمسح على الجملين النائخين بقطعة من القماش المبلول، فسألته:

- ماذا تفعل يا بني؟

- صباح الخير يا أماه، لا شيء، أنظّف الجملين، ألا يزال والدي نائمًا؟

هزت رأسها يمنة ويسرة ثم قالت:

- بلى إنه نائم، تعال وساعدني في تحضير طعام الإفطار.

رمى درهم قطعة القماش في دلو الماء واتجه نحو المطبخ، يحادث والدته:

- سأحضّر الشاي، وعليك تحضير البيض.

دخلا المطبخ ليعدّا طعام الافطار وهما يتبادلان الأحاديث والضحكات، لقد كان مطبخهم بسيطًا لا يحتوي إلا موقدًا صغيرًا وطاولة خشبية، وعددًا من الأواني والفخاريات. وخلال إعدادهم

للإفطار سمعا صوت أبي درهم ينادي عليهما من فناء المنزل، خرج الاثنان من المطبخ لينظرا ماذا يريد، وفى نفس اللحظة صاح درهم ووالدته:

- يا إلهي!

أسقطت أم درهم أبريق الشاي من يدها. مذهولة مما رأت؛ فقد كان أبو درهم واقفًا ويلبس زيًا غريبًا؛ بنطالًا أسود واسعًا من الأعلى وضيقًا من الأسفل، وقميصًا فوقه قطعة بنفس لون البنطال، بالإضافة إلى نعل مصنوع من الخيوط الملتفّة بإحكام حول رجليه.

- يا إلهي لا أصدق ما تراه عينّي، هل هذا والدك؟؟

- ما هذا اللباس الغريب؟ ومن أين أتيت به يا أبي!

وقف أبو درهم وقفة يستعرض فيها ملابسه ويقول بزهو:

- ما رأيكم؟ إنها ملابس قد أهداني إياها بعض الرحالة، وحان وقت ارتدائها، صحيح هناك ملابس أخرى في الصندوق، ادخل لغرفتي واختر لك ما تشاء منها.

- ولكن لماذا حان وقتها يا أبت؟ إنها غريبة جدًا.

جلس أبو درهم القرفصاء والابتسامة تشقّ وجهه وقال:

- سوف نذهب في رحلة لاكتشاف كنز سازيران، وهذه الملابس ستسهّل علينا حركتنا يا ولدي.

قامت أم درهم بدفعه وهي تقول ضاحكة:

- هيا اذهب وارتد ملابسك وكفاك جدالًا.

قطع درهم المسافة ما بين المطبخ وحجرة والده وهو ينظر لوالده تارة، وإلى والدته تارة أخرى وهي تشير له أن يسرع لحجرتهما.

دخل درهم وفتح صندوق أبيه الخشبيّ ونبش بين قطع الملابس ليجد ما يمكنه ارتداؤه، وفي تلك الأثناء جلست أم درهم بجانب زوجها فسألها إن كانت قد طلبت من صديقتها فاطمة أن تأتي لتمكث عندها وتؤنس وحشتها خلال فترة غيابهم.

- كلا لم أحدّثها بالأمر حتى الآن، سوف تأتي عند الظهيرة وسأخبرها، هل أنتم راحلون اليوم؟

فردّ عليها أبو درهم وهو يرتشف الشاي:

- نعم كلما أسرعنا كان أفضل، فقد علم أبو إصبع بالأمر ولا أعلم ماذا ينوي وبماذا يفكر الآن.

- وكم من الوقت ستستغرق رحلتكم؟

- لا أعلم، ولكن لتبقى فاطمة عندك حتى عودتنا، فإذا طرأ شيء جديد علينا هناك، سنعود للمنزل أولًا لنطمئنك ومن ثم ندبّر أمرنا وسنرى ماذا سنفعل.

وخلال حديثهما خرج درهم وهو يلبس بنطالًا أسود اللون وقطعة لم تغطّ من جسده إلا القليل، فلا يزال جزء من صدره وكتفيه ظاهرًا، وقد انتعل حذاءً كالذي انتعله والده.

نظر إليه والده متسائلًا:

- لماذا لم تلبس شيئًا تحته؟

مشى درهم نحوهما وجلس بامتعاض:

- لم أجد ما يناسب مقاسي إلا هاتان القطعتان فكل الملابس صغيرة الحجم ولا تناسبني.

أعطت أم درهم الشاي لابنها وقالت:

- لا عليك فمنظرك أجمل بكثير من منظر والدك بهذه الملابس.

ضحك أبو درهم:

- نعم، نعم، فقد كنت مثله أيام شبابي، وهذا ما جعلك تقعين في شباكي وتتزوجين بي.

- عن أيّ شباك تتحدث؟ أتقصد عصا الندافة وخيوط الصوف!

ارتفعت أصوات ضحكاتهم، وبعد أن انتهوا من تناول طعام الفطور قام درهم ووالده بتجهيز الجملين بينما دخلت أم درهم للمطبخ تعدّ حقائب للطعام حتى يأخذاها معهم. قبّل أبو درهم زوجته وكذلك درهم، وسحب كل واحد منهما جمله خارج المنزل، وقفت أم درهم تنظر نحوهما مبتعدين عن المنزل.

فرحت بمنظر زوجها وابنها، وعندما عادت إلى الداخل لمحت

رجلًا يختبئ خلف جدار منزلهم، وما إن رآها تنظر إليه حتى ركض مسرعًا.

وضعت أم درهم يدها على فمها وهي تقول:

- إنّه أبو إصبع.

لم ينتبه أبو درهم وولده لأبي إصبع الذي كان يركض من الجهة الأخرى ليصل إلى دكانه حيث يمكث رفيقاه، وعندما وصل إليهما جلس يلتقط انفاسه ثم قال:

- لقد خرج أبو درهم وولده يركبان الجملين وهما يرتديان زيًا غريبًا.

رد عليه جحدر:

- ربما هما ذاهبان إلى الدوحة لإيصال الأغطية وغيرها.

أجابه أبو إصبع مستنكرًا:

- كلا، لم يكن على الجملين شيء مما يبيعونه، وملابسهما ليست بملابس العمل، وقد عادا منذ يومين من الدوحة، ولا يذهب أبو درهم وولده إلى هناك إلا مرتين كل أسبوع، إنه ذاهب للبحث عن الكنز.

وقف رفيقه الثاني «أتربة» وكان عريض المنكبين ضخم البنية غليظ الصوت، وقال:

- ماذا سنفعل في هذا الأمر؟ لن ندعه يحصل على الكنز وحده.

اتجه أبو إصبع نحو باب دكانه ليغلقها وقال لهما:

- ليذهب كل منكما ويجهّز نفسه ويأتي بحصانه وسيكون تجمعنا عند مشارف المدينة، وسنتبعهم من بعيد لأنهم يملكون الخريطة ولا نعلم أين وجهتهم.

نهضوا جميعًا من مجلسهم ومضى كلٌ في طريقه هرولة، وانطلق أبو إصبع إلى منزله، وما أن وصل أخرج حصانه ووضع سرجه وهو ينادي على زوجته:

- زمردة.. يا زمردة!!

خرجت زمردة من حجراتها فزعة:

- ماذا بك؟

سحب أبو إصبع حصانه خارجًا:

- إنني ذاهب في رحلة مع مجموعة من أصدقائي، ولا أعلم مدة غيابي.

فسألته زمردة:

- إلى أين؟

لم يجبها أبو إصبع وخرج في طريقة إلى مجموعته التي كانت تنتظره، ركب حصانه وجرى به إلى مشارف مدينة الوكرة، حيث المكان المتفق عليه مسبقًا.

قال جحدر فور وصول أبي إصبع:

- لقد رأينا أبا درهم وولده على ظهر الجملين، وكنت على حق فهم يسيرون في جهة أخرى لا تؤدي إلى الدوحة.

- لنلحق بهما ولنتريث لكي لا يشعر بنا أحد.

وفي الوقت نفسه كانت أم درهم تمشي ذهابًا وإيابًا في منزلها خائفة متوجسة وهي تقول لنفسها:

- لقد كان أبا إصبع أنا متأكدة، هل يكنّ الشر لولدي وزوجي، إنهما لا يدركان من أمره شيئًا، إنه يراقبهما، ماذا أفعل.. ماذا أفعل؟

وفجأة ركضت نحو حجرتها وأغلقت الباب خلفها.

نظر درهم نحو أبيه قائلًا:

- أين تقع قلعة الوكرة يا أبتِ؟

- ألم ترها من قبل؟ إنها قلعة معروفة وقديمة جدًا، لا تقلق فهي قريبة، إنها على بعد ثلاثين دقيقة تقريبًا.

هزّ درهم جمله ليزيد من سرعته وقال لأبيه وهو يبتعد عنه:

- وهل تعتقد أننا سنجد الكنز هناك؟

لحق به والده قائلًا:

- لا أعلم يا بني، ولكن لنرَ، إنني أعلم بأنّ قصة الكنز حقيقة، ولكن لا أعلم إذا ما كان موجودًا هناك حتى الآن أم لا.

كانت الأجواء صافية، فلا يزال نسيم الصباح البارد يلمس وجهيهما

تحت أشعة الشمس الهادئة، وقد بدأت أسوار القلعة وأبراجها تظهر أمامهما من بعيد، فسأل درهم بإثارة:

- هل هذه هي قلعة الوكرة التي نقصدها يا أبتِ؟

ابتسم أبو درهم عندما لاحظ معالم القلعة وهي تبدأ بالظهور أمامهما شيئًا فشيئًا:

- نعم إنها هي.

وضرب برجليه على الجمل ليجري وهو يقول لدرهم:

- لنرَ أيّ الجملين أسرع، ومن منا سيصل أولًا.

انطلق درهم خلف والده الذي سبقه صارخًا:

- لقد غافلتني وانطلقت قبلي ولكنني سأسبقك.

وفي تلك الأثناء لم يكونا يعلمان بأنّ أبا إصبع وعصبته يتبعونهم ويراقبونهم.

وعلى مسافة قريبة منهم كانوا يسيرون خلسة تساءل جحدر:

- متى سنباغتهم ونأخذ منهم الخريطة؟

نزل أبو إصبع من على حصانه وأخذ يمشي بمحاذاته ممسكًا باللجام:

- لننتظر وصولهم إلى القلعة حتى يحلّان أحجية الخريطة ويكتشفان مكان الكنز ويخرجان محملين به، فننقضّ عليهما ونأخذه منهما، هذا أفضل لنا.

## ٧

وصل درهم ووالده مشارف قلعة الوكرة، ودخلا عبر الباب الخشبي الكبير، وكانت القلعة تضم عددًا من الغرف الموزعة على أطرافها الشمالية والجنوبية، وعددًا آخر من الغرف في الجهة المقابلة للمدخل، وهي ذات أسوار عالية، ويوجد بها برجان كبيران في زاويتها. ربط درهم وأبوه الجملين في أحد الأعمدة، وأخرج درهم الخريطة من جيب سرج الجمل وقال لأبيه:

- كل هذه الغرف! نحتاج لأسابيع حتى نبحث بها لنجد ما يدلنا على مكان الكنز.

أخذ والد درهم الخريطة من يده وقال:

- كلا، لا أعتقد أننا سنبحث في هذه الغرف فلم تذكر الخريطة شيئًا عنها، وإنما ذكرت البرجين، وأعتقد أن الكنز في أحد هذين البرجين.

اتجها نحو البرج الشمالي للقلعة ودفع درهم الباب الخشبيّ للبرج ودخلا، لم يكن البرج يحوي إلا سلمًا طويلًا يصل إلى سطحه، صعد أبو درهم السلّم واقترح على درهم أن يتفقّد المكان بالأسفل بحثًا عن رمز أو كتابة وهو يبحث في أعلى البرج.

حينها كان أبو إصبع ومن معه قد اختبأوا في أحد البيوت القديمة

الواقعة على بعد بضعة أمتار من القلعة، وكان أبو إصبع يعتبر جحدر ساعده الأيمن وهو في عمره، وكان أتربة يعمل عند أبي إصبع.

عندما كان أتربة يراقب مدخل القلعة لمح أحدًا ما يدخل إلى القلعة فنادى عليهما:

- تعالا، هناك شخص آخر غير أبي درهم وابنه.

نهض جحدر وأبو إصبع على الفور ينظران من خلال النافذة، بينما اتجه أتربة نحو الباب يتلصص خارجًا:

- من عساه يكون، هل رأيتماه؟

أجابه جحدر:

- كلا فقد كان ملثمًا، فلم أر وجهه، وهو بعيد جدًا عنا حتى نعلم من يكون.

ضرب أبو إصبع بيده على الحائط:

- لقد أخبر أحدًا ما بالأمر، يجب علينا أن نعترض طريقهم، هذا الكنز ملكي أنا.

وفي القلعة قام درهم يمشي ذهابًا وإيابًا حول المكان ولا يعلم ما الذي يبحث عنه، وأخذ يمسح بيده على الحوائط من حوله، ويتحدث بصوت مرتفع حتى يسمعه والده الذي صعد إلى السطح:

- ما الذي يجب علي أن أبحث عنه؟ لا يوجد شيء هنا.

ردّ عليه والده وهو يطلّ برأسه نحو الأسفل:

- أيّ شيء، رسم، نقوش، كتابة كتلك التي كانت على الخريطة، أنا أيضًا لم أجد شيئًا في الأعلى.

نزل أبو درهم السلالم وهو وينظر حوله علّه يجد شيئًا ما في طريقه.

وقف درهم فجأة دون حراك:

- هل تسمع؟

زاد والده من سرعته في النزول مجيبًا:

- نعم وكأن هناك أحدًا ما في الخارج، إنه صوت وقع حوافر خيل.

توقّف الصوت، وفجأة دخل شخص ملثّم وبيده سيف مشرّع راكضًا:

- هااااا استسلما حالًا.

وما أن تقدم الحصان بضع خطوات حتى تعثّر وسقط الملثم على الأرض وسقط من يده السيف وتمرّغ بالأتربة، وانكشف الغطاء عن وجهه فصرخ راكضًا للخارج:

- النجدة.. النجدة.

نظر درهم إلى والده غرًا فاه متسائلًا:

- ألم.. ألم تكن تلك..

خرج والده مسرعًا يصيح:

- نعم، إنها والدتك.

كانت أم درهم لا تزال تركض هاربة وهي تصرخ:

- النجدة.. النجدة.

نادى عليها درهم:

- أُماه.. أُماه توقفي!

توقفت أم درهم ونظرت خلفها ببطء، كانت الرمال تغطي ملابسها التي تشبه لباس درهم ووالده، فتحدثت والغبار يخرج من فمها:

- أنتما بخير؟ ولكن!!

اتجها نحوها وهما ينظران إليها في استغراب، وما أن اقتربا منها حتى سألها أبو درهم عن سبب قدومها إليهم، ولماذا ترتدي ملابس كتلك التي يرتدونها.

نفضت أم درهم الأتربة عن لباسها قائلة:

- ظننت أنكما في خطر، فتنكرت بهذا الزيّ الذي وجدته بصندوقك وأخذت سيفك، وبعدها ذهبت إلى فاطمة وأخذت منها حصانًا، فدخلت لأفزعهم، ولكنني وقعت وما عدت أرى شيئًا فركضت أطلب النجدة.

وقع درهم على الأرض من فرط الضحك، وانفجر أبوه كذلك ضحكًا وقال لها:

- ولكن ما الذي دفعك لفعل كلّ هذا، وعن أيّ خطر تتحدثين؟

كانت أم درهم تنظر حول المكان، تتوقع أن أبا إصبع ومن معه قد هاجموا زوجها وابنها، وقالت:

إنه أبو إصبع، بعدما غادرتما لمحته يختبئ خلف المنزل وهبّ راكضًا فور شعوره بأنني رأيته، وخلال قدومي نحوكما شاهدته هو ومجموعة من الرجال مسلحين يمشون في نفس طريقكم إلى القلعة، ولكنني أضيّعت أثرهم، فاعتقدت أنه قد هاجمكم ومن معه.

توقف أبو درهم عن الضحك:

- لا بدّ أنه قريب من هنا، ولكنه لم يهاجمنا، لعلّه ينتظر حلول الليل، حتى لا نتعرف عليه. لنبحث عن الكنز الآن وسوف نفكر في أمره بعد ذلك.

- ألم تجدا الكنز بعد؟

مشى درهم عدة خطوات مبتعدًا عنهما:

- لقد بحثنا في البرج الذي داهمتنا فيه.

وعاد يضحك من جديد. حينها جرت أم درهم نحوه قائلة:

- سأداهمك الآن، لما الاستعجال!

عندها بدأ درهم بالركض هاربًا منها وأبوه يلحق بهما وهما

متجهان نحو البرج الشمالي للقلعة، وقف درهم يستجمع أنفاسه وتبعه والده ووالدته إلى الداخل، التقط أنفاسه وهو يسأل والده: ما الذي سنبحث عنه هنا، كيف سنعرف مكان الكنز؟

بدأ أبو درهم يتفحّص المكان وهو يمسح بيده على الحوائط الداخلية للبرج: أيّ شيء يدلنا على الكنز؛ رسم، نقوش، أي شيء، أبحثا في كل مكان.

صعدت أم درهم هذه المرة إلى الأعلى وقالت:

- أنتما ابحثا وأنا سأصعد لمحاولة كشف مكان أبي إصبع وعصبته.

بدأ درهم يحوم حول المكان من الجهة الأخرى، يبحث وينظر حوله ويقول:

- لا يوجد شيء هنا يا أبتِ، ربما لم يقصد بذكره للبرجين في الخريطة أنها داخل هذه الأبراج، فلو كانت هنا أصلًا فمن غير المعقول أن يخبّئ كل تلك الكنوز في مكان صغير كهذا.

واتكأ على جانب الدرج، يشاهد والده المستمر في فحص كل شيء يقع تحت نظره، وعندها أحس بأن الدرج الذي خلفه قد تحرك فابتعد خائفًا وهو يقول: ما هذا؟!

وقف درهم في مقابلة الدرج وأتي إليه والده مسرعًا وهو يمسك بأحد الحجارة صغيرة الحجم حيث كان يتفحصها:

- ماذا هناك، هل وجدت شيئًا؟

كانت والدة درهم لا تزال في الأعلى تنظر حول المكان وهي تحدّث نفسها: لا أثر لهم هنا ترى أين هم؟

واتجهت نحو فتحة البرج التي صعدت منه إلى الأعلى وصاحت:

- لا وجود لأبي إصبع وعصبته حول المكان، هل وجدتما شيئًا؟

ردّ عليها درهم: أعتقد ذلك، انزلي يا أماه.

كان أبا درهم يتحسّس أطراف الدرج بيده ويبحث عنما وجده ابنه:

- ما الذي وجدته؟ اكتشفت بوجود درج هنا! ماذا أكلت هذا الصباح! أم أن الشمس ضربت رأسك؟

نزلت أم درهم ووقفت معهما تنظر إلى الدرج: ماذا هناك؟ لما تنظران إلى الدرج هكذا؟

عاد درهم يتحسّس عتبات الدرج ليتأكد من أنها هي التي تحركت منذ قليل:

- أعتقد أن هذه هي..

ودفع بعتبة الدرج، فبدأت تتحرك من تلقاء نفسها نحو الأسفل، ومعها كانت الرمال الموجودة على الأرض تحت الدرج مباشرة تنسحب حتى ظهرت فتحة مربعة.

نزلت الرمال داخل الحفرة، والتي كانت أكبر بقليل من حجم عتبة السلم الذي فوقها، وضعت أم درهم يديها على خصرها قائلة:

- وكيف لنا أن ندخل في هذه الفتحة الصغيرة، هل كان سازيران ورفاقه أقزامًا؟

التفت إليها درهم: أماه لا تستعجلي، ومن قال لك إننا سندخل هذه الحفرة؟

جلس أبو درهم على ركبتيه لينظر داخلها وقال:

- إنها ليست ممرًا، ولكن بالتأكيد يوجد شيء ما داخلها!

مدّ يده وأخرج شيئًا مغطى بقطعة من القماش القديم والمليء بالتراب، رفعه أبو درهم ووضعه على الأرض أمامهم.

جلس درهم ووالدته قربه، دق درهم بإصبعه عليها متسائلًا: هل هذه جرة؟!

فك أبو درهم الحبال بمساعدة درهم والتي كانت تثبّت الغطاء الملفوف حولها، وقاما برفع الغطاء عنها. كانت جرة قديمة الشكل وتملؤها النقوش الغريبة، ولها ثلاث أرجل مثلثة الشكل، لا تشبه الجرّات التي كانت تستخدم في قطر، ولا حتى القديمة منها، وفي منتصفها حفرة دائرية الشكل.

أمسكت أم درهم بالجرة وأخذت تهزّها وتقلبها:

- ما هذه الجرة الغريبة؟ ولماذا هي فارغة؟ أين هو كنزك؟ كل

هذا العناء لأجل هذه الجرة؟ اذهب يا درهم ونادي بصوت مرتفع على أبي إصبع ليأتي ويأخذ الجرّة، بدلًا من أن يهاجمنا ويقتلنا من أجلها.

أخذ أبا درهم الجرة من يدها بحزم:

- انتظري، يا إلهي، أهون عليّ أن يقتلني أبو إصبع من أن أجلس هنا وأستمع إليك، سوف تقتليننا، لا تستعجلي.

نظر داخل الجرة ولمح داخلها شيئًا ما فقربها منه ليتأكد أكثر، فلاحظ كتابة تشبه تلك الكتابات التي على الخريطة:

- هناك شيء ما محفور داخل الجرَة، ولكن لا أستطيع قراءتها فهي مقلوبة، لا بدّ وأنهم كتبوها بطريقة ما ثم صنعوها، ولكن كيف لنا أن نقرأها؟

## ٨

اقترب درهم من والده وهو ينظر داخل الجرة، وضع يده يتحسّس النقوش، ثم رفعها يقلبها بين يديه مفكرًا:

- إذا كانت هذه الكتابات في داخل الجرة، ولا سبيل لكتابتها إلا إذا كانت مفتوحة، فمن الصعب الكتابة داخلها هكذا.

- وماذا تقترح أن نفعل يا بني؟ فإن حاولنا كسرها لنصفين..

قاطعة درهم: انتظر ربما كانت هذه الفتحة في منتصف الجرّة صنعت لأمر ما.

بحث في جيبه وأخرج يد الهاون، قربها من الفتحة الموجودة على الجرّة، في محاولة منه لإدخالها، ولكنه لم يستطع فالفتحة أصغر من أن تدخل بها يد الهاون، فقالت والدته:

- ماذا بك يا بني، افتح يد الهاون كما فعلت سابقًا، وأدخل نصفها السفلي فهو أصغر حجماً من النصف الآخر، نظر إليها أبو درهم بتعجّب وقال: يا امرأة على الرغم من استعجالك الأمور، ولكنّ أفكارك تذهلني!

ردّت عليه أم درهم مبتسمة:

- لهذا تزوجتني أيها الرجل الكهل.

ابتسم أبو درهم وأخذ يد الهاون من ابنه وأدخلها في الفتحة بعد

فصل القطعتين عن بعضهما، فبقي الجزء المدبب منها خارجًا، ووضع الجرّة على الأرض، وقال: وماذا بعد؟

عندها أخذ درهم الجزء الآخر من يد الهاون وضرب بها الطرف المدبب ضربات خفيفة حتى سمع صوتًا وانشطرت الجرّة إلى نصفين، أمسك درهم نصفًا ورفع أبوه النصف الآخر منها قبل أن يقع على الأرض فينكسر، وببطء وضعاها على الأرض، مسحها درهم بقطعة من القماش حتى يزيل التراب المتجمّع داخلها:

- أعتقد أنه نفس الرسم العثمانيّ الذي كان على الخريطة، أليس كذلك يا أبتِ؟

قرّب وجهه ليقرأ الكلمات التي حفرت داخل الجرّة:

- نعم إنها كذلك، إنه لغز آخر، لا أعتقد أن الكنز موجودٌ هنا، وإنما في مكان آخر، ولكن لم أفهم معنى ما كتب هنا.

- وما الذي كتب عليها يا أبا درهم؟ أقرأه.. أقرأه.

صمت أبو درهم للحظات ثم قال:

- «عساكر وجنود، وأم تراقب من فوق ثلاث».

أخرج درهم ورقة وقلمًا من جيبه وكتب ما قاله والده، بينما كانت والدته تردّد العبارة مرارًا وتكرارًا، فتذكّر درهم ما فعلته والدته سابقاً، عندما عضت لسانها فضحك، وعلم والده سبب ضحكه فخرّ ضاحكًا.

توقفت أم درهم عن تكرار العبارة تنظر لهما مستغربة:

- ماذا أصابكما! وما الذي سنفعله الآن، فنحن لا نعلم ماذا يقصدون بها؟ وأبو إصبع وزمرته ينتظرون خارجًا.

نهض أبو درهم وقام بوضع قطعتي الجرّة كما كانتا وأعاد لفها مرة أخرى وقال:

- سننام هنا الليلة، فنحن لا نستطيع العودة مرة أخرى لمدينة الوكرة، ربما يكون الكنز في مكان قريب، سيكون لدينا ما تبقى من النهار والليل بطوله لنفكر في أمر هذا اللغز.
- ولكن ماذا عن أبي إصبع، إنه في مكان قريب منّا وبصحبته اثنان من عصبته، ماذا لو هاجمونا ونحن نيام؟
- لا تقلقي يا والدتي سنتناوب أنا وأبي على المراقبة طوال الليل، هو يبحث عن الكنز، والكنز ليس هنا، وهو لا يستطيع فعل شيء فهو بحاجة لنا.
- أصبت يا بني، ولكن يجب علينا الآن أن نعدّ مكانًا لننام فيه، تعال معي لننزل ما على الجملين، وسننام في وسط ساحة

القلعة ونغلق بابها حتى وإن دخلوا لا يستطيعون محاصرتنا في إحدى الحجرات.

كان جحدر يمشي ذهابًا وإيابًا داخل الحجرة التي يختبئون بها، فقال له أبو إصبع:

- ماذا بك يا جحدر ألا تستطيع أن تجلس وتهدأ؟

- لقد مللت انتظاري هنا يا أبا إصبع، فنحن لا نعلم ما الذي يفعلونه بالداخل، إن وجدوا الكنز الآن سيجمعونه ويحملونه فوق جمالهم ويرحلون، وماذا سنفعل عندها؟

ضحك أبو إصبع:

- هل تعتقد أنّه يمكن للجملين أن يحملا كنز سازيران، لو أتوا بعشرة جمال لا يستطيعون حمل الكنز كله، حسب علمي فكنزه يعتبر من أكبر الكنوز التي لم يكتشفها أحدٌ حتى الآن، وقد جمع سازيران كنزه من مختلف بقاع الأرض؛ صناديق كبيرة مليئة بالذهب، وتماثيل بحجم الجمال وأكبر منها مصنوعة من الذهب الخالص، ومجموعة من التحف وغيرها من العجائب التي لا تخطر على بالك.

التفت أتربة الذي كان لا يزال يراقب القلعة في انتظار خروج أحد ما منها وقال بفرح:

- كل هذا! سنصبح من أكبر أغنياء العالم.

- نعم، نعم، ولكن يجب علينا أن ننتظر خروجهم، فننقضّ عليهم وبهذا يكونون قد وجدوا الكنز ولا يستطيعون إنكار أمره علينا، أفهمت لماذا نحن هنا؟

- ولكنني أراقبهم من هذا المدخل، ألا يوجد مدخل آخر للقلعة غيره؟

- كلا هذا مدخل القلعة الوحيد، وإن لم يخرجوا حتى الليل فسندخل عليهم ونفاجئهم فهم لا يتوقعون وجودنا هنا.

وفي القلعة بعدما انتهى درهم ووالده من تجهيز مكان المبيت، أخرج درهم الورقة التي كتب عليها لغز الكنز وقال: كيف لنا أن نعرف مكان الكنز؟

- فكّر أنت ووالدك فيها بينما أذهب وأعد شيئًا لنأكله، فأنا جائعة.

- يجب عليك أن تكوني جائعة بعد الدخول المهيب علينا ووقوعك على الأرض.

وضع درهم الورقة من يده ضاحكاً:

- لماذا ذكرتني يا أبتِ فأنا أحاول منع نفسي من الضحك منذ أن شاهدتها.

- اتركا عنكما هذا الهراء، كل هذا من خوفي عليكما، هيا أرياني كيف ستحلان لغز الرسالة المكتوبة على قطعة الجرة، فأنا لا دخل لي هذه المرة.

- قل لي يا أبتِ، هل هناك شيء تفكر فيه؟
- لا أعلم يا بني، ولكنني أشك في أمر ما.
- وما هو؟
- كل ما وجدناه حتى الآن يكمل الآخر، يد الهاون على الرغم من أنها كانت تحتوي على الخريطة الأولى، إلا أننا استخدمناها كمفتاح للجرة.
- وهل تعتقد أن الجرة لها غرض آخر؟
- إن لم يخب ظني يا بني فهم حفروا هذا الكلام داخل الجرة لأنها جزء من اللغز، كان باستطاعتهم أن يكتبوها على قطعة من الورق كما فعلوا سابقًا.
- لقد فهمت مقصدك يا والدي، ولكن ما الذي أرادوه من الجرة؟ هذا ما يجب علينا معرفته، لنحلّ باقي الأحجية، فربما كان الأمر متصلًا بها.

عادت أم درهم وقامت بوضع قطعة من الحصير في الوسط:

- ها.. ما الذي توصلتما إليه؟ هل من جديد؟

أخبرها درهم عن فكرة استخدام الجرة، وربما لها علاقة في حلّ لغز الخريطة، وقفت أم درهم بعدما انتهت من وضع الحصير وقالت:

- نعم يا بنيّ العزيز، ابحثا عن مكان له علاقة بالجرة، ربما يكون هو نفس المكان المقصود في الخريطة.

تبادل درهم ووالده النظرات، وكأن الأمر كان بسيط جدًا ولا يحتاج إلى تفكير:

- أنحن أغبياء لهذه الدرجة يا درهم؟ أو أن والدتك تمتلك قوى خارقة؟

- لا أعلم يا أبتِ ولكنها أصابت فيما قالت، لقد تم اكتشاف عدد كبير من الخزفيات والأدوات المنزلية القديمة في أحد القلاع الموجودة في قطر.

- أيّ قلعة تقصد؟

- برج برزان، الذي كان يستخدم كبرج للمراقبة.

وشرع يحلّلان المكتوب ويقارناه بالبرج، فقال درهم:

- كان الجنود والعساكر يستخدمون البرج لأغراض المراقبة، وهذا المقصود بكتابته «عساكر وجنود»، أما ما يختص بأم تراقب.

حك درهم رأسه يفكر بالأمر، ثم قال: وجدتها فالبرج يقع في منطقة أسمها «أم صلال محمد»، والبرج مستطيل الشكل ويتكوّن من ثلاثة طوابق..

وبصوت مرتفع قال أبو درهم:

- من فوق ثلاث.

نهض من مكانه عندما ولحق به درهم وهو ينادي على زوجته:

- تعالي يا زوجتي الحبيبة لقد حللنا لغز الخريطة.

التفتت إليه مبتسمة:

- أحسنتما، هيا تعالا واحملا معي الطعام.

رفعت القدر من على النار فحمله درهم من يدها وقال لها:

- ها قد اقترب وقت الغروب، مبيتنا اليوم هنا وغدًا بإذن الله منذ الفجر سيكون مقصدنا برج برزان.

وبنبره عالية قاطعته والدته: ماذا قلت؟ برج برزان!!

- نعم يا أماه فمشوارنا طويل، وهل تعلمين إنني مسرور لوجودك معنا، إن طال غيابنا لا نقلق عليك فنحن معًا.

- أصبت يا بني في هذه، فلو لم تكن أمك معنا لما استطعنا الذهاب إلى هناك حتى نعود ونخبرها، لأن الطريق إلى أم صلال محمد طويلة، فقد نقضي يومًا بكامله حتى نصل إلى هناك.

- وماذا عن أبي إصبع، ماذا سنفعل حياله؟

- لهذا وكما قال درهم سنخرج فجرًا، قبل طلوع الشمس حتى لا يلاحظوا حركتنا، فيظلوا منتظرين، ونكون قد ابتعدنا مسافة لا يستطيعون معها رؤيتنا ولا معرفة إلى أين نحن ذاهبون.

بعدما انتهوا من تناول الطعام جلسوا في وسط القلعة تحت ضوء

النجوم التي ملأت السماء يتسامرون ويضحكون حتى غلبهم النعاس، فتساءل أبو درهم:

- هل نامت والدتك يا درهم؟

- نعم، غطت في سبات عميق، نم أنت يا أبتِ وسأبقى أنا للمراقبة.

- حسنًا سنتناوب على ذلك، عندما تشعر بالنعاس أيقظني لأحلّ محلك وتنام أنت.

- حسنًا، يا أبت، تصبح على خير.

## ٩

خلد الجميع إلى النوم ما عدا درهم الذي ظل مستيقظًا، وفي الوقت نفسه كان أبو إصبع وجحدر وأتربة يتسللون نحو القلعة ليتفقدوا أمر أبي ردهم وما الذي يفعله حتى الآن في الداخل.

مرت دقائق فغفى درهم دون أن يشعر، وبعدها بوقت قليل استيقظت أم درهم عطشة ونهضت لتشرب الماء فاتجهت نحو الجمال لتأخذ قربة الماء، وعندها انقضّ عليها أتربة وجحدر الذي غطى فمها حتى لا تصدر صوتًا. كانت تحاول أن تقاومهم ولكن دون فائدة، واقترب أبو إصبع ليرى وجهها فقال:

- إنها أنتِ؟!

قام بربط قطعة من القماش على فمها حتى لا تصرخ فيستيقظ درهم ووالده، وأشار إلى جحدر طالبًا منه أن يستكشف المكان بالداخل ويرى إن كانوا قد وجدوا شيئًا ما، غاب عنهم جحدر وعاد إليهم مرةً أخرى وأشار برأسه أن لا شيء هناك.

- لا بأس لننتظر حتى يستيقظا من نومهم، فلا نريد أن ندخل معهم في قتال في هذه الظلمة، وها نحن نمسك بزوجته، فلن يقدمان على أمر قد يندمان عليه.

كانت أم درهم تنظر نحوهم في غضب وخوف؛ غضب على ما

فعلوه بها وتكبيلها، واستخدامها في تهديدهم، وخوف من ما قد يحدث. اقترب الفجر وبدأت الشمس بالظهور فصرخ أبو إصبع بصوتٍ عال:

- انهضا.

استيقظ درهم وأبوه مفزوعين، وقفا وهما يشاهدان أم درهم وقطعة القماش مربوطة على فمها، تتوسط جحدر وأتربة وفي الجانب الآخر يقف أبو إصبع مبتسمًا فسألهم:

- أين هو الكنز؟

رد عليه أبو درهم غاضبًا:

- ما الذي تفعله بزوجتي أيها الرجل الحقير، أتركها لا كنز هنا.

اندفع درهم نحوهم في محاولة ليفكّ قيد والدته، ولكن أتربة أظهر سكينًا طويلة ووضعها بالقرب من رقبة أم درهم قائلًا:

- لا تقترب أيها الشاب وإلا.. لقد سمعت ما قاله أبو إصبع، أين هو الكنز؟

- لا كنز هنا فنحن لم نجد شيئًا.

- أتركوا زوجتي وسأخبركم بما تريدون معرفته، لا حاجة لي بالكنز إن حدث مكروه لأيّ كان.

ضحك أبو إصبع بمكر وقال:

- أخبرني أولًا وبعد ذلك سندع زوجتك وشأنها، فهي لم تلحق

بكم إلا لتنبّهكم بعد أن شاهدتني بجانب منزلكم، هل كنت تعتقد أنني صدقتك عندما أخبرتني بأنك رميت الخريطة، فأنت تعلم بأمر كنز سازيران أكثر مني.

انحنى أبو درهم ليرفع الجرة، التي كان قد وضعها بجانبه سابقًا، وعلا صوت أتربة مهددًا:

- ما الذي تحاول فعله؟ انتبه فزوجتك هنا وبين يديّ.

- ألا تريدون أن أخبركم بالذي أعرفه عن الكنز؟ هذه هي الفخارة التي وجدناها هنا.

اقترب جحدر نحوه ليرفع الغطاء عن الجرة، وكانت نظرات التعجّب واضحة على وجهه وهو يقلّبها وتوجه بحديثه أبي إصبع:

- إنّها مجرد جرة مكسورة! أين هو الكنز يا أبا إصبع؟ هل هذا ما كنت تحدثنا عنه؟

تناول أبو إصبع الجرة من يده يتفحّصها، ولاحظ الكتابات الموجودة داخلها:

- كلا، هذه علامات تدلّك على مكان الكنز أيها الأحمق.

ثم توجّه بسؤاله لأبي درهم: ما هذه الكتابة الغريبة؟

ردّ عليه درهم بسرعة قبل أن يجيب والده:

- إنها الخط العثمانيّ القديم ولا أحد منا يستطيع قراءتها.

- نعم، نعم، وأين الخريطة التي وجدتموها في منزلكم يا درهم،

وتذكّر أن والدتك تقف هناك، انظر إليها قبل أن تجيب.

مد درهم يده في جيبه وأخرج الخريطة مترددًا، ثم ألقى بها نحو أبي إصبع فأخذ الخريطة وفتحها:

- إنّه نفس الخط مكتوب هنا، كيف عرفتم معناها ووصلتم لقلعة الوكرة، والآن تقول لي انك لا تعرف قراءتها، أحدكم يستطيع قراءة هذه الكلمات.

ونادى على أتربة كنوع من التهديد حتى يصل إلى مبتغاه.

وبسرعة ردّ والد درهم:

- نعم أستطيع قراءتها، ولكن ما الذي يضمن لي أنكم ستتركون زوجتي إن أخبرتكم المكتوب في الجرة.

- سوف نترك زوجتك، ولكن لن أدعكم تذهبون لوحدكم فهذا أمر مستحيل، فكيف لنا أن نعرف مكان الكنز هناك، ربما واجهنا ألغازًا جديدة، وكتابة كهذه لا نستطيع حلها، وبوجودكم أثق أنني سأحصل على الكنز، وبعد ذلك سأرى إن كنت سأدعكم ترحلون.

وقتها نزعت أم درهم ما كان يغطي فمها وصرخت تقول لزوجها:

- لا تخبرهم يا أبا درهم بشيء، وافعلوا بي ما تشاءون، فنحن من وجد الخريطة، ونحن من حلّ هذه الألغاز فلا حق لكم في شيء من الكنز.

دفع أتربة بأم درهم فسقطت أرضًا:

- اصمتي وإلا قطّعت أوصال ابنك وزوجك أمام عينيك.

اندفع أبو درهم نحوها، (اتركوها وشأنها)، إن الكنز موجود في برج برزان الواقع في منطقة أم صلال محمد. هذا هو المكتوب في الجرة.

ابتسم أبو إصبع وهو يتمعّن في المكتوب داخل قطعة الجرة التي بيده، محدّث نفسه: أخيرًا سأصل إلى الكنز.

ثم نظر نحو أم درهم قائلًا:

- فكّوا قيودها وجمعوا متاعكم، فوجهتنا إلى هناك، اذهب يا جحدر وأجلب أحصنتنا لننطلق نحو الكنز.

خرجوا جميعهم من القلعة، بعد أن جمعوا أمتعتهم، وكان درهم ووالداه يمشيان معًا ويقربهم أبو إصبع، وكان جحدر يسبقهم بعدة خطوات ومن خلفهم أتربة، وكان يجر الحصان وجمله.

كان الوقت لا يزال في بداية الصباح والشمس هادئة. وأمامهم مسافة طويلة ليقطعوها إلى أم صلال محمد؛ فقد تعمد أبو إصبع أن يسلك طرقًا تخلو من أية مدن أو قرى مأهولة بالسكان، أو أية مراع ربما يصادفون فيها أحدًا ما، فيستنجد درهم ووالداه بهم، وعلى الرغم من أن المسافة طالت إلا أنّه وجدها الأفضل له.

تحدث درهم إلى والديه والأسف بائن على وجهه:

- اعذراني فلو لم أغفُ ما حدث كل هذا.

- لا عليك يا بني، فأبو إصبع كان عازمًا على فعلته، فلو كنت مستيقظًا وهاجمونا ربما أصاب أحدًا منا مكروه. فهم لن يتوانوا عن أذيّتنا ليصلوا إلى الكنز.

- ولكن يا أبا درهم، هل تعتقد أنهم سيتركوننا نرحل عندما نجد الكنز؟

- لا أعتقد ذلك يا زوجتي، فهو يريد الحصول على الكنز وحده، ولو أنه لم يكن في حاجتنا لكان قد قتلنا هناك، فلا أحد يعلم أين نحن، ولا إلى أين ذهبنا.

- وماذا سنفعل يا أبتِ؟

صرخ فيهم أتربة:

- أشش.. أصمتوا جميعًا، فيم تتحدثون!

واصلوا سيرهم في مناطق بريّة تكثر فيها الشجيرات الصغيرة الصحراوية وصولًا إلى مناطق الكثبان الرملية، ولم يسمح أبو إصبع لأحد منهم بركوب جمله، وحتى أم درهم التي كانت تجرّ الخيل خلفها حتى أهلكها التعب من السير فقالت:

- لقد تعبت، فشمس الظهيرة تضرب رؤوسنا، يجب علينا أن نجلس قليلًا لنستريح لقد قطعنا نصف المسافة، وما تبقى لا نستطيع إتمامه اليوم.

توقف أبو إصبع ينظر حوله قائلًا:

- لا بأس لنسترح هنا فقد أصابنا الإرهاق كذلك، وسنكمل سيرنا بعد ساعة وحتى غروب الشمس، فنبيت في الصحراء إلى الفجر ونكمل طريقنا نحو البرج.

جلس الجميع ليستريحوا بعد أن قطعوا مسافة طويلة في قيظ الصحراء، ولم يكن تجمّعهم هذا كالذي سبقه داخل البرج، فقد تغيّر كل شيء، وضاعت فرحة المغامرة والارتحال سوية.

كان الحزن باديًا على وجوههم، وجلسوا متباعدين عن بعضهم البعض، وبعد مرور ساعة على استراحتهم عند أحد السهول وقف أبو إصبع وقال:

- هيا بنا فقد اقترب موعد مغيب الشمس، لا وقت أمامنا.

قطعوا مسافة ليست بالقليلة، وبدأت شمس النهار تغيب تدريجيًا وخفّت حرارتها، وحلّ عليهم نسيم الهواء البارد، كانت أم درهم تنظر نحو موضع غروب الشمس، وهي تدعو الله أن يحمي زوجها وابنها، وأن يخلّصهم من ما هم فيه، وعينها تدمع خوفًا مما قد يحدث لهم.

توقف جحدر الذي كان يسير أمامهم وقال:

- أعتقد أن علينا التوقف هنا اليوم، فهذه أفضل بقعة لننام فيها.

- نعم، إنه كذلك، وستتناوب أنت وأتربة على مراقبتهم الليلة،

حتى لا يهربوا ونحن نيام.

ردّت أم درهم قائلة:

- وهل تسمح لنا يا أبا إصبع أن ننزل من على ظهر الجمال شيئًا ننام عليه في هذه الصحراء، أم أن هذا الأمر ممنوع أيضًا.

- أفعلوا ما تشاؤون، واربطوا جمالكم والحصان في تلك الشجرة، خذ حصاني يا أتربة واربطه هناك وأنزل ما عليه وأجلبه لي. وأنت يا جحدر اجلب لنا قطعة من الحطب وأشعل لنا نارًا، فقد يشتدّ علينا البرد في هذه الصحراء المكشوفة.

اتجه أتربة نحو أبي إصبع وأخذ حصانه ومشى نحو جحدر، فحدثه بصوت خافت:

- من يظنّ نفسه! فهو ينام ويرتاح ونحن نتناوب على الحراسة، وأصبحنا على ما يبدو نعمل عبيدًا عنده.

- ليفعل وليقل ما يشاء الآن حتى نصل إلى الكنز، وعندها سنتخلص منهم جميعًا، وسنتقاسم الكنز بيننا نحن الاثنين.

أنزل درهم الأغطية وفرشها له ولوالديه، ومرّ الوقت عليهم دون أن يغمض لأيّ منهم جفن، وهم يفكرون في طريقة للتخلص من أبي إصبع ومن معه، بخلاف أبي إصبع الذي غطّ في نوم عميق وصوت شخيره ملأ المكان، ومرت ساعات الليل عليهم وكأنّها دقائق حتى بدأت شمس الصباح بالشروق.

كان جحدر الذي يتناوب مع أتربة على المراقبة مستيقظًا، وكان ينظر نحو أبي إصبع الذي نام طوال الليل، وبصوت مرتفع نادى عليهم:

- هيا انهضوا لقد حلّ الصباح، أجمعوا أمتعتكم لنتحرك.

أستيقظ أبو إصبع، وقام درهم الذي ظل مستيقظًا طوال الليل يلفّ غطاءه وغطاء والديه، ووضعها على الجملين، وانطلقوا مرة أخرى باتجاه برج برزان، فلم تعد المسافة بعيدة. بعد ساعات من سيرهم بدأت معالم البرج بالظهور، نظر جحدر الذي كان يتقدمهم إلى الخلف وصاح:

- ها هو البرج، لقد اقتربنا من الكنز.

ابتسم أبو إصبع الذي زاد من سرعة خطواته:

- نعم إنه كذلك، هيا تحركوا بسرعة.

## ١٠

وقف الجميع خارج أسوار البرج وكان منظر البرج العالي بسوره مهيبًا، فعلى الرغم من قدمه، إلا أن البرج لا يزال كما هو، فما تأثر ولا تصدّع بفعل الزمن، كان البرج يعلو المكان على شكل مستطيل يتكون من ثلاثة طوابق، وله درج خارجيّ يصل إلى أعلى البرج، كان هذا هو البرج الغربي من برجين تم بناؤهما حول المنطقة.

ما إن دخلوا إلى البرج حتى أشار أبو إصبع بيده نحو أتربة في إشارة منه تفيد أن يمسك بأم درهم قائلًا لدرهم وأبيه:

- هيا يا درهم، أرنا مكان الكنز أنت ووالدك، وستظل والدتك هنا بصحبة أتربة حتى لا تحاولان فعل أيّ شيء، أو حتى أن تخفيان أمرًا عنا.

نظر درهم نحو أمّه وعيناه يملؤهما الغضب والحزن على ما حلّ بهم، وأمسك أبوه بيده قائلًا له:

- هيا بنا يا درهم لنبحث في البرج.

تنقل البقيّة وهم يبحثون في البرج، فصعد درهم مع جحدر إلى أعلى البرج وكانا يقفان عند كل طابق من الطوابق الثلاثة الموجودة ليريا إن كان هنالك ما يدلّهما على وجود الكنز، بينما ظل أبو إصبع ووالد درهم يبحثان في قاعدة البرج، وبعد البحث الذي استمر

فترة من الزمن لم يجدوا فيها ما يدلّهم على الكنز، فنزل درهم إلى الأسفل متسائلًا:

- هل وجدت شيء يا أبتِ؟

- كلا يا بني، لا يوجد شيء يشير إلى وجود الكنز هنا.

- بما أنّكم لم تجدوا شيئًا يدلكم على مكان الكنز، هيّا تحركوا نحو البرج الآخر ولا تضيعوا وقتي.

خرج أبو إصبع يسبقهم متجهًا نحو البرج الشرقي الذي لم يكن يختلف كثيرًا عن البرج الذي كانوا فيه وتبعه البقية، فنظر أبو إصبع نحو أتربة وقال له:

- كن على أهبة الاستعداد يا أتربة.

ردّ عليه درهم متسائلًا: يستعد لما؟

- إذا شعرت بأنكما تخبئان أمرًا عني فسيقع ما لا تحمدان عقباه.

بحثوا داخل البرج الشرقيّ بمجرد وصولهم إليه لعلّهم يجدون أيّ شيء يدلّهم على مكان الكنز، ولكنّ محاولاتهم في البحث لم توصلهم إلى أيّ شيء، فتساءل والد درهم بتعجّب:

- ما الذي يحدث، أيعقل أننا أخطأنا في تفسير اللغز؟ ربما قصد مكان آخر.

ردّ عليه درهم وهو ينظر حول المكان:

- كلا يا والدي لا أعتقد ذلك، ولكن لا أعتقد أن الأمر سيكون بهذه السهولة، ألا ترى أنّ الألغاز تصبح أصعب كلما تقدمنا، فلا أعتقد أننا سنجد الكنز واضحًا أمام أعيننا.

- نعم، فلو كان الأمر بهذه السهولة لوجده غيرنا.

توقف درهم عن البحث وهو ينظر نحو والده حينًا وحول المكان حينًا آخر ويفرك يده بفكّه، وكأنه يفكر في أمر ما.

- ما الذي تفكر فيه يا ولدي؟

قاطعه أبو إصبع قبل أن يجيب درهم وقد بان عليه نفاد صبره: أين الكنز؟

أشاح درهم بيده في وجه أبي إصبع وسأل والده:

- ألم يكن في هذا البرج قبو؟

- نعم أعتقد أن أحد هذين البرجين يحتوي على قبو، ولكن ذلك كان سابقًا فلو كان القبو موجودًا لرأيناه، كان يُقال إن هناك قبوًا ولكن لم يصل إليه أحد، وقد قيل إن القبو تم دفنه، ربما لا يكون هذا صحيحًا والقبو لا يزال موجودًا، وعلى حد علمي فهو يقع في البرج الشرقي، ونحن فيه.

- إذا كان القبو في هذا البرج فمن الأكيد أن يكون تحت الطابق الأول للبرج.

كان البرج يتكون من طابق أرضيّ تعلو فوقه الطوابق الأخرى،

وللبرج سلم خارجيّ يرتفع من الأرض حتى الطابق الثاني، ومن ثم سلم آخر يوجد داخل البرج يصل إلى أعلاه.

ركع درهم بركبتيه على الأرض وأخذ يبعد بيده الرمال المتراكمة، ويتحسس إن ما كان هنالك أي شيء تحت هذه الرمال المتراكمة، ووالده يفعل مثله.

اقترب منهم أبو إصبع متسائلًا: ما الذي تفعلانه؟

لم يجب عليه أحد منهما واستمرا في إزاحة الرمال حتى نادى درهم أباه وكأنه اكتشف وجود شيء ما، وهو يدفع بالرمال بعيدًا.

جلس أبوه بجانبه ينظر إلى موضع يديه: ما هو؟

- انظر توجد خطوط مستقيمة وكأنها قطعة أو غطاء.

دفع أبو إصبع بجحدر نحوهما:

- لا فائدة منك، أزح الرمال معهم بسرعة.

وخلال دقائق كانت الخطوط على الأرض واضحة، وكان الذي أمامهم وكأنه غطاء حجريّ كبير، قال درهم:

- لا أعتقد أنني ووالدي نستطيع حمل هذا الغطاء لوحدنا فنحن بحاجتكم جميعًا وأتربة أيضًا.

صرخ أبو إصبع بصوتٍ عالٍ:

- أتربة.. أتربة.. تعال هنا بسرعة وأجلبها معك.

- نحن بحاجة إلى عصا لنرفع جزءًا من الغطاء ومن ثم نمسك

به جميعًا ونرفعه.

دفع أبو إصبع بجحدر مرةً أخرى:

اذهب وأجلب لنا شيئًا كما سمعت من أبي درهم.

خرج جحدر الذي قابل أتربة وهو قادم نحوهم وقال بصوت منخفض حتى لا تسمعه أمّ درهم:

- أنا من سيقتله، أتركه لي.

ابتسم أتربة وهو داخل إلى البرج دافعًا أم درهم أمامه:

- ها قد أتيت، ماذا حدث؟ هل وجدتم الكنز؟

اتجه إليهم أبو إصبع وسحب والدة درهم ممسكًا بها، وعاد جحدر حاملًا بيده عصًا حديديّة، فقال أبو إصبع:

- أعط العصا لدرهم ليرفع بها الغطاء، وليمسك جميعكم به فور ارتفاعه، وأنا سأكون هنا أراقب والدة درهم.

رمى جحدر العصا أمام درهم: خذها.

تناول درهم العصا وضرب بها على زاوية أحد اطراف الغطاء ولكنه لم يتحرك.

ضحك أتربة مخاطبًا درهم:

- ماذا بك أيها الصغير ألا تقوى على رفعه؟

لم يجبه درهم وأخرجه ثم عاد وضربه بقوة أكثر في مكان آخر، وهو يرمي بوزنه عليه حتى بدأ يرتفع شيئًا فشيئًا، فتقدم كلّ من

جحدر وأتربة وأبي درهم، كل واحدٍ منهم يمسك بطرف ودرهم يدفع العصا للأسفل حتى قاموا برفع الغطاء وألقوا به جانبًا.

سألت أم درهم:

- ما هذا الصوت؟

وقد سمعت صوت حركة غريبة بالأسفل، ولم يعرها أبو إصبع ورفاقه اهتمامًا واندفعوا نحو الفتحة ينظرون إلى السلالم، بينما رجع درهم وأبوه عدة خطوات للخلف، وقال درهم لوالده:

- هنالك شيء ما بالأسفل.

هزّ والده رأسه موافقًا وهو يمسك بيد زوجته، ومع انتهاء درهم من كلامه ازدادت أصوات الخشخشة الصادرة من القبو، فصاح أبو إصبع:

- ما هذا الصوت؟

وفجأة خرجت آلاف من العقارب الصحراويّة السوداء، وانتشرت في أرجاء المكان ما دفع الجميع إلى الهرب خارجًا، فوقع جحدر على الأرض وأخذ يدفع العقارب برجليه محاولاً إبعادها، وعندها قام درهم بسحبه للخارج، واتجهوا نحو قطع من الصخور ووقفوا عليها وظهورهم ملتصقة ينظرون نحو العقارب التي بدأت بالخروج من البرج والانتشار في أرجاء المكان حتى توقف سيل خروجها.

أشار أبو إصبع لأتربة وهو يقول له:

- اذهب وتأكد بأن لا شيء بالداخل.

نظر إليه أتربة بغضب:

- ما الذي تقوله؟ أجننت! تريد أن أذهب لألقى حتفي عند تلك العقارب، لا والله لن أذهب، إن أردت أن تتأكد اذهب أنت فهو كنزك أيضًا.

دفعه أبو إصبع دفعة أسقطته على الأرض، وصاح:

- اذهب وإلا اقتطعت نصيبك من الكنز واقتسمته مع جحدر.

وقف أتربة وهو ينفض الرمال عن ملابسه وردّ على أبي إصبع بنبرة فيها شيء من التهديد:

- ليكن ذلك، سأذهب وأتحقق، ليس من اجلك وإنما من أجل الكنز.

عاد أتربة للداخل ينظر إلى المكان من بعيد ويحاول التأكد من عدم وجود العقارب:

- لا وجود لها هنا، أعتقد بأنها خرجت جميعها.

نزل جحدر من على الصخرة التي يقف عليها:

- ولكن ماذا تفعل كلّ تلك العقارب في الداخل؟

ردّ عليه درهم: وهل تعتقد أنك ستصل إلى الكنز بهذه السهولة، من الأكيد أنهم وضعوها لحماية المكان، وحماية كنوزهم حتى لا يحاول أحدٌ الدخول.

أمسك درهم بعصا خشبية ولفّ عليها قطعه من القماش وقام بإشعالها لتضيء لهم المكان عندما بدأوا بالنزول داخل القبو وهو يتقدمهم.

كان المكان بالداخل قد بني على شكل شبيه بما كان يعلوه؛ مستطيل الشكل، والسلم مصنوع من الخشب وملتصق بجوانب القبو نزولًا إلى الأسفل. حرّك درهم العصا حول المكان وإلى الأسفل ليرى إلى أين ستصل بهم تلك السلالم، ولكن من غير جدوى، فقد كان قاع المكان أبعد من أن تضيئه الشعلة التي بيده، واستمروا في النزول على السلالم الخشبية بحذر، فقد كانت مهترئة وتكسّرت بعض عتباتها، وكانوا يلتصقون بالحائط حتى لا يقع أحدٌ منهم نحو الأسفل.

فجأة صرخت أم درهم تطلب النجدة، جرى درهم نحوها مسرعًا فوجد والدته تمسك بيد أبيه وهو يتدلى من الدرج، وانكسرت درجة أخرى بسبب جري درهم نحو والده ولكن تخطاها قافزًا نحوهما، وأمسك أباه وتعلّق بيده الأخرى بالحائط ورفعه إلى الأعلى، وكان أبو إصبع وجحدر وأتربة واقفين ينظرون دون أن يتدخل أيّ منهم للمساعدة. تأكد درهم من عدم لحاق أيّ أذى بوالده، فقاطعهم أبو إصبع مؤكدًا أنه بخير والأجدر به أن يعود ويتقدمهم وهم ينزلون للأسفل.

عاد درهم إلى مكانه وسار في مقدمتهم، وحين أحسّ درهم أنه وضع رجله في بركة ماء؛ رفعها على الفور وأخفض عصاه ليرى ما تحت قدميه:

- أعتقد أننا وصلنا ولكن الأرض مبتلّة هنا.

كان الظلام دامسًا في المكان، فلم يكن القبو صغيرًا كما توقّع درهم وأبوه، فقال أبو درهم:

- أعتقد يا بني أننا في مكان أكبر من أن يسمى قبوًا.

- نعم، فصدى أصواتنا يأتي من مسافة بعيدة، وكأن هذا المكان بحجم ساحة البرج وما حولها.

انتبه أبو إصبع إلى وجود مشعل خشبيّ معلق على الحائط فتناوله واقترب به من درهم حتى يشعله قائلًا:

- خذ هذا المشعل يا أتربة وابحث عن غيره وقم بإشعالها كلها.

## ١١

كان أتربة يحوم حول المكان موقدًا النار في المشاعل الخشبية المعلقة ويساعده في ذلك درهم، وتدريجيًا بدأت معالم المكان تتضح لهم أكثر فأكثر مع زيادة الوميض الصادر عنها، كان المكان عبارة عن قاعة كبيرة جدًا، لدرجة أن المشاعل لم تضئ إلا جزءًا بسيطًا منها، وكان يمسك بسقفها المرتفع عدد كبير من الأعمدة الحجرية الطويلة وكبيرة الحجم وكأنها نحتت عندما تم بناء المكان، وكانت الأرض مغطاة بقوالب حجريّة كبيرة، وفيها مجرى صغير للماء يدور حول المكان. لم يتوقع أحد منهم وجود مثل هذا المكان الهائل تحت البرج، وقالت أم درهم:

- لا كنز هنا.. ولكن لماذا قاموا ببناء هذا المكان؟

- لا أعلم يا زوجتي.

وأكمل أبو درهم قائلًا:

- ولكن عندما بنوا تلك الأبراج، كان الهدف منها حماية المنطقة من الهجمات، وربما كان يستخدم هذا المكان لتخزين الأسلحة أو يختبئ فيه الناس أثناء الحروب.

قال أبو إصبع غاضبًا: ولكن أين الكنز؟

قاطعه درهم:

- أششش، هل تسمعون صوت جريان الماء؟

اتجه درهم بنظره إلى الأرض وبدأ يمشي في اتجاه حركة الماء مرورًا داخل القاعة وبين الأعمدة التي كان عرضها وطولها يفوق حجمهم بعشرات المرات. قطع درهم مسافة طويلة وهو يتتبّع مجرى الماء على الأرض والجميع يتبعونه وأعينهم تتنقل حول المكان في ذهول، وفي نهاية الممر المائي كانت المياه تصبّ في بركة صغيرة وعند طرفها كان هناك مخرج دائريّ مزخرف بنقوش تم حفرها في الحائط الذي تعبر المياه من خلاله.

أشار درهم نحو المكان: أعتقد أن علينا الدخول.

فتساءل أبو إصبع مستنكرًا:

- أتريدنا أن نزحف للداخل؟ وإذا كان الممر لا يؤدي إلى شيء فسنعلق.

أجابه درهم وهو ينزل أولًا:

- كلا لن تعلق، ألا تريد الوصول إلى الكنز!

تبعه والده إلى الداخل، بينما أوقف أبو إصبع أم درهم ومنعها من اللحاق بهما، قائلاً لها:

- كلا، أنت ستبقين معنا حتى نسمع منهما شيئًا، فيدخل أتربة ومن ثم نحن.

بعدها بدقائق سمعوا صوت أبي درهم ينادي عليهم من الداخل:

- تعالوا، هنالك نفق يؤدي إلى مكان ما، ويمكنكم الوقوف هنا، فقط سيروا وأنتم تخفضون رؤوسكم لمسافة خمسين مترًا.

بعدما دخل الجميع ووصلوا إلى النفق كان درهم وأبوه قد أنارا المكان بشعلات كانت معلقة على الحائط عند المدخل.

قال جحدر فور خروجه من بركة الماء:

- إلى أين يأخذنا هذا النفق؟ هل أنت متأكد أيها الصغير أن هذا المكان هو طريق الوصول إلى الكنز؟

ردّ عليه درهم وهو يساعد والدته على الخروج من بركة الماء:

- نعم إنه كذلك، وإلا لما وجدت رسوم الخط العثمانيّ حول المدخل، وما وجدنا هذه المشاعل هنا، فبما أننا لم نجد الكنز في برج برزان ولا شيء يدل على أثره هناك، فهذا هو طريقه.

بدأ الجميع بالسير متجهين إلى داخل النفق، ولا أحد فيهم يعلم إلى أين يأخذهم، كانت حوائط النفق ملساء، ولا تشبه تلك الانفاق التي تحفر للتنقيب، وكان سقفه يحتوي على أعمدة تم نحتها عند حفر النفق منحوتة ومزخرفة على طريقة العمارة الإسلامية.

علّقت أم درهم التي لم تتوقف عينها عن النظر إلى المكان في ذهول طول فترة مشيهم داخل النفق:

- يا لهول هذا المكان! تعجبت أولًا عندما كنا في الساحة

السفلية للبرج وبها كل تلك الأعمدة التي ملأت المكان، والآن هذا النفق الذي نسير فيه منذ قرابة الساعة ولم تنقطع تلك الأعمدة المزخرفة وكذلك النقوش الجميلة التي ملأت حوائطها.

ردّ عليها درهم: بالنسبة لي هذا هو الكنز، يا لجمال إتقانهم فيما أنجزوه هنا.

ضحك أبو إصبع بخبث:

- هذا هو كنزك! فهو لك واستمتع به، أما أنا فكنز سازيران لي.

قاطعه جحدر بغضب: تقصد لنا.

أجاب عليه أبو إصبع دون أن يعيره اهتمامًا: نعم.. نعم.

لم يعجب أتربة حديث أبي إصبع وكيف ردّ على جحدر وأسرع في خطواته حتى أصبح يتقدم مسيرهم بعدد من الخطوات.

فجأة تحركت قطعة من تحت أقدام أتربة الذي تعالى صوت صراخه يطلب النجدة وهو يسقط إلى الأسفل وكأن الأرض ابتلعته، دارت القطعة وعادت إلى مكانها مرة أخرى، وفي نفس الوقت نزل جزء من السقف خلفهم يسدّ عليهم المكان وكأنه باب تم إغلاقه.

تقدّم جحدر وجلس على الأرض عند المكان الذي اختفى فيه أتربة، متجاهلًا القطعة التي سدّت الطريق خلفهم، في حين عاد

الجميع إلى الوراء والتصقت ظهورهم به، التفت جحدر نحوهم وصرخ في وجه أبي إصبع:

- ماذا حدث؟ أين ذهب أتربة؟ أين هو؟

دار أبو إصبع نحو الحائط يدفعه بيده وهو يقول خائفًا:

- كيف لي أن أعلم؟!

تقدم درهم نحو جحدر وجلس على الارض أمام المكان الذي اختفى فيه أتربة، ودفع بيد واحدة القطعة الحجرية التي ابتلعته، وإذا بها تهبط قليلًا إلى الأسفل، وكان المكان عبارة عن حفرة عميقة فنادى درهم على أتربة، ولكنه لم يسمع سوى تردّد صدى صوته:

- لا أعتقد أننا سنراه مرةً أخرى، هذا فخ آخر صنعوه ليحموا الكنز من اللصوص، مثل العقارب التي خرجت سابقًا.

كان أبو درهم يتفحص الجزء الذي أغلق المكان من ورائهم، فرد على درهم قائلًا:

- لا أعتقد أن هنالك مجالًا للعودة أيضًا، فهذا الشيء سدّ الطريق ولا يمكننا تحريكه.

قالت أم درهم والقلق باد على وجهها:

- ولكن كيف سنخرج وهذا الحائط يسدّ طريق عودتنا، ولا يمكننا التقدم بوجود هذه القطعة المتحركة.

نهض درهم من مكانه وبدأ يدوس على القطعة المتحركة ذهابًا

وإيابًا، ليحدد أبعاد القطعة وطولها، فكان يخطو ببطء وأمه تمسك بيده خوفًا عليه، والقطعة تتحرك للأسفل كلما داس على طرفها، حتى وصل إلى الحائط ولاحظ ثبات تلك القطعة من الأرض فقال:

- أعتقد أنه يمكننا المرور من هنا ولكن هذا الطريق سيكون ضيقًا جدًا، لذلك عليكم إلصاق ظهوركم بالحائط وأنتم تتوغلون للداخل.

ردّ عليه جحدر الذي كان الرعب بائنًا على وجهه بسبب ما حلّ بأتربة:

- لن أمرّ من هنا، هل أنت أحمق! تريدنا أن نسقط جميعًا في هذه الحفرة.

علا صوت أبي إصبع مقاطعًا: أخرس، وهل تعتقد أننا إن بقينا هنا سنعيش؟! ستتقدمنا أنت يا درهم، فأنت من وضعنا في هذا المأزق وسنكون خلفك.

- هل أنت متأكد يا ولدي من هذا الطريق؟

- لا خيار لدينا سوى أن نمضي فيه يا أماه.

ابتسمت أم درهم في وجه ولدها:

- لا بأس إن كان ابني سيتقدمكم فأنا خلفه مباشرة.

تقدم أبو درهم ووقف بجانبهما:

- وأنا لن أكون إلا بجانب ابني وزوجتي.

أمسك درهم بيد أمه ووقف ملاصقًا الحائط، وهي كذلك تمسك بيد زوجها من الجهة الأخرى، تقدّموا بحذر وببطء شديد إلى الداخل، في حين كان جحدر وأبو إصبع متسمّرين مكانهما يتأكدان أن لا خطر في المرور، وتقدم درهم عدة خطوات حتى تحركت إحدى القطع مرة أخرى فاختلّ توازنه، إلا أنّ والدته أمسكت يده بقوة حتى تعيد له توازنه:

- انتبه يا بني، اعتقد أن أماكنها تتغير مع تقدمنا.

- نعم لاحظت ذلك.

- حاول أن تدوس برجلك لتتحسس القطع أولًا، وابحث عن القطع الثابتة، وكلما خطوت خطوة تأكد من ثباتها ثم تقدّم، ولا تقلق علينا أنا ووالدتك فإنني أمسك بيدها كما تمسك هي بيدك.

عندها تقدم أبو إصبع الذي خاف من أن يتوغلوا إلى الداخل فلا يستطيع تحديد المكان الذي ساروا فيه، وأخذ يمشي بموازاة الحائط نحوهم: انتظروا حتى أصل إليكم.

ردّ عليه أبو درهم:

- هيا أسرع فإنّ وقوفنا هكذا متعب، وأنت يا جحدر سر خلفه وليمسك أحدكما بيد الآخر.

وبعد أن وصلا إليهم بدأ درهم يدوس برجله بحثًا عن الطريق الثابت، ويتقدم خطوة إلى الأمام متجها نحو الجهة الأخرى للحائط وتتبعه أمه التي تمسكت بيده بشدة، وضحك درهم بصوت مرتفع فسأله الجميع بنفس الوقت:

- ماذا بك؟

أجاب درهم وهو ينظر نحو أمه:

- أماه سوف تعصرين أصابع يدي وأنت تضغطين عليها هكذا.

- أوه.. آسفة يا ولدي، كل هذا من خوفي عليك!

ردّ درهم وهو يتقدم خطوة: لا بأس يا أمي.

وظلّ درهم يخطو ويغيّر اتجاهه كلّ بضع خطوات حتى قال أبو إصبع:

- وإلى متى سنظلّ نتحرك هكذا؟ فلا يزال الظلام دامسًا أمامنا.

- لا أعلم، فكل ما تفعله أنت أنك تسير خلفنا، ولا أعتقد أن هذه القطع المتحركة ستلازمنا طول الطريق.

واستمروا في مشيهم بتلك الطريقة، يتحركون من جانب إلى آخر، حتى لاحظ درهم عندما قام يتفحص الأرض تحت قدمه قبل أن لا شيء متحركًا هذه المرة، فعلم أنهم قد تجاوزوا تلك القطع المتحركة،

وتوقف الجميع مكانهم فيما كان درهم يتأكد من ثبات القطع أمامه، وعندها أخبرهم أنهم بأمان الآن.

ألقى أبو إصبع بنفسه على الأرض وأخذ نفسًا عميقًا ثم قال:

- لقد كان طريقًا متعبًا جدًا، اللعنة عليهم.

ردّ أبو درهم بعد أن جلس بجانب زوجته:

- لا تفرح كثيرًا، فما زال الطريق أمامنا طويلة، ولا نعلم ما الذي سنصادفه خلالها، ولكن علينا أولًا اجتياز هذا الحائط الذي أمامنا.

ما إن سمع أبو إصبع ذلك، حتى نهض من مكانه غير مصدق، ينظر نحو الحائط الذي يسدَ طريقهم، فلم يلاحظ وجوده سابقًا بسبب التعب والخوف اللذين تملّكا تفكيره: ماذا يفعله هذا الحائط هنا؟!

وببرود أجابته أم درهم:

- يفعل ما يفعله الحائط الذي كان خلفنا، وها قد أصبح الطريق مسدودًا من الجهتين، وأعتقد أن عليك يا أبا إصبع أن تذهب أنت و جحدر وتلقيا بنفسيكما في المكان الذي سقط فيه صديقكما أتربة.

تقدم نحوها جحدر في حين وقف درهم أمام والدته حتى أصبح وجهه ووجه جحدر متقاربين جدًا، وأشار بيده نحو والدة درهم:

- ما تقصدين بقولك؟ وأنت ابتعد عن طريقي.

- لن أبتعد وأرني ما أنت بفاعل!

لم يتجرّأ جحدر على الرد، فهو يعلم أنه في هذا المكان هو بأمسّ الحاجة لدرهم، فدفع درهم بجحدر من أمامه وأشار بيده قائلًا:

- ذاك الشيء أمام الجدار لا بد أن يكون وضع لسبب ما.

## ١٢

كان يوجد في وسط المكان قطعة من الحجر مخروطية الشكل ولها أربع أذرع خشبيّة موزعة على كل طرف منها، ومثبتة بطريقة ما في الأرض، علّق درهم المشعل الذي بيده في الحائط واقترب ليتفحصها، والجميع يفعل مثله، عندها قال أبو درهم:

- أعتقد بأن هذا الشيء عبارة عن مفتاح للحاجز الذي أمامنا، ويمكن أن يرتفع الحائط إلى الأعلى إن حاولنا.

أمسك كل واحد منهم بطرف؛ جحدر ودرهم ووالده وأبو إصبع ودفعوا جميعًا بها، ولكنها لم تتحرك، فابعد أبو إصبع يديه عن القطعة الحجرية وقال بغضب: إنها لا تتحرك.

فردّت عليه أم درهم:

- ادفعها بالاتجاه المعاكس أيها الأحمق.

ضحك درهم بصوت مرتفع وهو ينتقل للجهة الأخرى، وعاد الجميع إلى مكانهم ولكن هذه المرة بعكس الموقع الذي كانوا يقفون به سابقًا ودفعوا بكل قوتهم، فبدأت القطعة تدور ومعها يتحرك الجدار نحو الأعلى ومع حركتها كانت الأتربة تتطاير من أطرافها بفعل الاحتكاك.

وفجأة ترك كل من جحدر وأبي إصبع مكانهما وركضا نحو الباب

في محاولة منهما للعبور إلى الطرف الآخر، ولكن الباب بدأ بالنزول مرة أخرى وبسرعة كبيرة، وسقط كل من درهم ووالده أرضًا بسبب التفاف العجلة التي كانوا يدفعونها، ولم يستطع أيّ منهما الوصول إلى الجدار والعبور قبل أن يعود لمكانه مرة أخرى، ضرب أبو إصبع بيده على الجدار:

- لماذا لم تمسكا به جيدًا.

وبسرعة اتجه درهم نحو والده المطروح أرضًا متسائلًا إن أصابه مكروه، وقف أبو درهم وهو يطرح الغبار والرمال عن ملابسه قائلًا:

- كلا يا بني، أنا على ما يرام.

عاد درهم ووجّه حديثه نحو أبي إصبع:

- هل جننت! لماذا تركت العجلة أنت وذاك الأحمق الذي معك؟ وزنها أثقل من أن يستطيع شخصان فتحها.

- وماذا تقترح أيها الذكي؟ أن نمسكها جميعًا ونمر والدتك! ماذا سأستفيد حينها؟

- لا بأس إن كان يعجبك سأحل محلّك، وأنت اخرج لوحدك ولنرى كيف ستكمل الطريق بعد ذلك.

عاد أبو إصبع ووقف مرة أخرى بجانب العجلة وقد تغيّر أسلوب حديثه معهم، بعدما سمع ما قالته له أم درهم:

- وماذا تقترحون أن نفعل؟ ولن أكون آخر الخارجين من هنا.

قال له درهم:

- سندفع بها حتى يفتح الباب بالكامل فتخرج والدتي أولًا، ومن ثم أنت، ثم والدي، ولكن بسرعة حتى لا نتزاحم عند الخروج، ثم نترك أنا وجحدر العجلة ونلحق بالباب قبل أن يغلق.

- ولماذا أبقى أنا معك؟

- أنا وأنت أكثرهم قوة، هل تريد أن يتكرر ما حدث منذ قليل؟

تمتم جحدر، وعاد إلى مكانه وكذلك أبو إصبع، وبدأ الجميع بدفع العجلة مرة أخرى، وارتفع نصف الجدار، وحينها أشار درهم لوالدته أن تنطلق نحو الباب، فجرت أم درهم بسرعة حتى عبرت الحاجز، وهم يبذلون جهدًا كبيرًا في دفعه ليصل الحاجز الصخري للأعلى.

عندما حاول أبو إصبع أن يترك مكانه ويلحق بأم درهم صرخ درهم وأمره أن يبقى مكانه ويساعدهم في دفع الحاجز حتى يرتفع بالكامل، عاد لمكانه على الفور، وحين توقفت العجلة عن الدوران أومأ درهم برأسه لأبي إصبع وأبيه أن يعبرا قائلًا لهما:

- أركضا بسرعة.

ما إن تركا مكانهما حتى بدأت العجلة بالتحرك دافعة درهم و

جحدر إلى الخلف، وكان الاثنان يحاولان جاهدين تثبيت العجلة ومنعها من الدوران مرة أخرى حتى لا ينزل الجدار. ولكنها كانت أقوى من أن يمسكاها فبدأت أرجلهما بالرجوع للخلف، وقبل أن يصل أبو إصبع ووالد درهم إلى الجانب الآخر ترك جحدر مكانه وبدأ بالركض نحو المخرج فدفعت العجلة بدرهم ورمته نحو الحائط بقوة أسقطته على الأرض.

صرخت أم درهم تنادي باسمه وهي تحاول الذهاب إليه عندما أمسكها أبو درهم ليمنعها، وقد بدأ الجدار بالنزول مرة أخرى، وظلت والدته تصرخ:

- درهم.. يا بنيّ.. درهم..

كان درهم مرميًا على الأرض وهو يتألم من شدة ارتطامه بالحائط، وبصعوبة حمل نفسه على الوقوف وبدأ يجري بسرعة نحو الجدار الذي وصل إلى منتصف المسافة.

نزلت أم درهم واستلقت على الأرض ووالده معها، في الوقت الذي وقف فيه جحدر وأبو إصبع ساكنين مكانهما ينظران نحوهما دون أيّ اهتمام، كانا يمدّان يديهما خارجًا نحو درهم الذي اقترب من الجدار، ولكن لم يبق للجدار سوى القليل حتى يصل للأسفل ويسدّ المكان مرة أخرى، وبحركة سريعة رمى درهم نفسه على الأرض مطلقًا ذراعيه نحو والديه اللذين أمسكا بهما وسحباه على

الفور إلى الداخل.

بدأت أم درهم تتحسس بيدها جسد ابنها والخوف يملأ قلبها:

- هل أنت بخير يا بني؟

وقف درهم وهو يحاول أن يخفي الألم الذي لحق بظهره جراء ارتطامه بالحائط:

- نعم أماه لا تقلقي أنا بخير والحمد لله.

بعد أن سمعت أم درهم تلك الكلمات من ابنها اتجهت نحو جحدر الذي كان يبتسم شامتًا بما حدث به، ودفعته بقوه قائلة:

- هل أنت أحمق؟ لما تركته؟ ألم يخبرك أن تنتظر إشارته فتنطلقان معًا.

قام جحدر بدفعها فسقطت على الأرض، عندها نسي درهم الألم الذي كان فيه واندفع نحوه فضربه على وجهه، عاد جحدر محاولًا أن يردّ الضربة لدرهم ولكن درهم سبقه وضربه بقبضته مسقطًا جحدر، عندها تدخّل أبوه وأبو إصبع فأمسكا به.

كانت أم درهم حينها على الأرض، وأحست بوجود شيء ما تحتها، وانشغلت بتحسس المكان بيدها وهي تدفع بالرمال بعيدًا، رفعت رأسها قليلًا ولاحظت وجود نقوش على الحائط مكان وقوعها، وكانت النقوش تصغر تدريجًا كلما نزلت إلى الأسفل وصولًا إلى المكان الذي وقعت عليه، فطوال سيرهم لم تلاحظ وجود مثل هذه

النقوش على الحائط.

وكان الجدال والتدافع لا يزال مستمرًا بين درهم وجحدر، وأحست يد أم درهم وجود شيء ما فأخرجت صندوقًا خشبيًا صغيرًا بحجم كف اليد، فتحتها على الفور ووجدت لفافة من الورق وقالت:

- ما هذا؟

لم يجبها أحدٌ منهم فقد كانوا في خضم جدال ومشاجرة، وأبو درهم يحاول منع ابنه من أن ينقض على جحدر، الذي كان يشتم ويصرخ من وراء أبي إصبع، فصرخت أم درهم نحوهم:

- توقفوا.. درهم يا بنيّ تعال وانظر، لقد وجدت خريطة جديدة.

تسمر الجميع مكانهم وهم ينظرون نحوها، كانت يد درهم لا تزال ممسكة بلباس جحدر عند عنقه، فأفلته واتجه إلى والدته على الفور:

- كيف؟ و أين وجدتها؟

فتحت اللفافة واقتربت من أحد المشاعل، وعلى الفور أوقد أبو درهم النار فيه بعود الثقاب الذي كان معه، وقالت:

- عندما دفعني جحدر ووقعت على الأرض أحسست بوجود شيء ما تحتي، في بداية الأمر اعتقدت أنها مجرد قطعة من الحجر، ولكنني لاحظت وجود نقوش غريبة الشكل على

الحائط، والنقوش تصغر تدريجيًا حتى الأسفل وكأنها تشير إلى المكان نفسه، فحفرت قليلًا وإذا بي أجد الصندوق وبداخله اللفافة.

دخل أبو إصبع بينهم ينظر نحو الخريطة، وسحبها من يد أم درهم قائلًا:

- كأنها نصف خريطة فقط، أين نصفها الآخر؟ فهذا رسم لقلعة ما، ولكن أين النصف الآخر منها؟

ردّ عليه أبو درهم:

- وما الذي تقصده؟ أن زوجتي قطعتها لنصفين؟ لو أرادت لخبأتها وما علم أحد منكم بوجودها.

- افحص يا درهم في الصندوق الصغير الذي وجدت اللفافة به لعلنا نجد نصفها الآخر.

عاد درهم وتفحص الصندوق من الداخل وكل جوانبه، ولكن من دون فائدة:

- كيف هو شكل القلعة المرسومة على الخريطة؟

- تحتوي على برجين دائريين، هذا ما يوجد في نصف اللفافة التي معي.

قال والد درهم: ولكن معظم القلاع الموجودة في قطر تحتوي على أبراج دائرية الشكل.

- أعتقد أن علينا أن نبحث عن النصف الآخر للخريطة، فلربما تعمدوا شطرها إلى نصفين لإخفاء النصف الآخر.

وقف جحدر جانبًا: وأين سنبحث؟

ردّ درهم وهو يضع الصندوق الخشبي في أحد جيوبه:

- لا أعلم، فليحاول الجميع أن يبحث حول المكان بتركيز لربما نجد مثل هذه النقوش أو أية إشارة على مكان النصف الآخر.

لف أبو إصبع الخريطة ووضعها في جيبه، وأخرج سكيناً طويلة من حقيبة كان يحملها، ورمى بها إلى جحدر:

- نعم ستبحثون عنها، لا أريد أن أسمع منكم كلمة واحدة في غير موضوع الكنز.

التقط جحدر السكين ووقف بسرعة خلف والدة درهم وهو يضع السكين وراء ظهرها موجهًا كلامه لدرهم:

- أرني شجاعتك الآن، فإذا كانت تعتقد أننا ضعفنا بسبب ما حلّ بأتربة فأنت مخطئ.

وقف درهم بجانب والده في حين تردد في المكان صوت ضحكات جحدر وأبي إصبع وهو يقول:

- هيا بنا لننطلق فقد أضعنا وقتًا بما فيه الكفاية، هناك كنز ينتظرني.

فتمتمت أم درهم لزوجها وابنها:

- لا تقلقا علي، فأنا بخير ما دمتما بخير.

أكملوا طريقهم داخل النفق وأعينهم تتنقل في الأرجاء لعلهم يجدون الجزء الآخر من الخريطة التي وجدتها والدة درهم، وبعد أن قطعوا مسافة طويلة داخل النفق دون أن يجدوا شيئًا آخر بان لهم ضوء من بعيد، فبدأت خطواتهم بالتسارع نحو مكان الضوء بعد قضائهم أكثر من ساعتين داخل النفق، وكانت أمامهم بركة كبيرة من الماء، والضوء الساقط عليها يأتي من الأعلى.

اقترب أبو إصبع من مصدر الضوء وهو ينظر نحو الأعلى قائلًا:

- ما هذا! وكأننا في بئر.

قال أبو درهم: نعم، وهو كذلك، ولكن كيف لنا أن نصعد إلى الأعلى فلا سلم هنا؟

قاطعهم درهم:

- هذا هو السلم.

## ١٣

أشار درهم بيده إلى مكان ما في الجدار الذي يحيط ببركة الماء وصولًا إلى الأعلى، كان الجدار مغطى بقطع صغيرة من الحجارة المرصوصة مستطيلة الشكل، ولكن ما لفت انتباه درهم وجود بعض الصخور التي تبرز للخارج وكأنها السلم يصل للأعلى.

ردّ عليه أبو إصبع متعجبًا:

- هل سنصعد إلى الأعلى هكذا؟ وإذا ما انزلق أحد منا فسيسقط كل من تحته معه.

كان أبو درهم يتأكد من تماسك تلك الحجارة عندما ردّ عليه متسائلًا:

- هذا هو الحل الوحيد، فهل عندك اقتراحًا آخر؟

- نعم عندي حل آخر.

- وما هو؟

- يسبقنا ابنك درهم، ويصعد للأعلى وينزل لنا حبلًا نتمسك به فيسحبنا واحدًا تلو الآخر.

ردت عليه والدة درهم غاضبة:

- ولماذا ابني؟ اصعد أنت أو هذا الأحمق، فأنتما من يريد الكنز أليس كذلك؟

نظر أبو إصبع نحوها وقال:

- جحدر أخرسها وإلا.

وقبل أن يفعل جحدر شيئًا اندفع درهم نحو الجدار وبدأ بالتسلق للأعلى:

- لا بأس يا والدتي فهذا أمر بسيط.

تقدمت والدته لتراقب ابنها وهو يصعد شيئًا فشيئًا، واضعة يدها على فمها، كانت المسافة إلى الأعلى تبلغ على الأقل مئة متر، وكان المكان يصغر تدريجيًا وصولًا للأعلى، وخلال دقائق اختفى درهم عن الأنظار فنادت والدته عليه لتتأكد بأنه على ما يرام:

- بنيّ هل أنت بخير؟

خرج درهم من البئر ورمى بنفسه على الأرض، يلتقط أنفاسه، وأشعة الشمس التي اشتاق لها تلاعب وجهه بعد أن قضى زمنًا طويلا داخل النفق، وكان صوت صدى والدته يأتي من داخل النفق، وقف بسرعة على رجليه ومال بجسده داخل البئر، ولكنّ المسافة إلى القاع كانت طويلة وما كان له أن يلمح أيًا منهم، فرد على والدته التي لم تتوقف عن النداء باسمه:

- نعم يا أماه إنني بخير لا تقلقي.

ما إن سمع أبو إصبع درهم حتى قال له:

- ماذا تفعل بالأعلى؟ ارم لنا الحبل.

نظر درهم حول البئر يبحث عن أية حبال وهو يحدّث نفسه قائلًا:

- أيّ حبل سأجده هنا! لا أعتقد أن هناك من استخدم هذا المكان أو شرب من ماء هذا البئر منذ عشرات السنين.

مال نحو البئر مرة أخرى ووضع يديه حول فمه حتى يصل صوته للأسفل:

- لا يوجد حبلٌ عند البئر سأبحث في المكان لعلي أجد حبلًا وأعود.

قال له والده: حسناً يا بني.

فردّ أبو إصبع في نفس الوقت:

- أسرع.. وإلا..

جرى درهم نحو أول باب وجده أمامه، وهو يتساءل:

- أيّ قلعة هذه؟

دخل الحجرة الأولى، ثم الثانية، والتي تليها، ولكنه لم يجد شيئًا، كانت الغرف خالية، فخرج مرة أخرى إلى ساحة القلعة يدور حول نفسه حتى لمحت عيناه مجموعة من الأعمدة الخشبية وقد لفّت بالحبال، فجرى نحوها وبدأ يفك الحبال، ومن ثم ربط تلك الحبال ببعضها البعض آملًا أن يكون طولها كافيًا للوصول حتى قاع البئر، وعاد إلى البئر وأخبرهم أنه قد عثر على حبال ولكنها قديمة ولذلك حذرهم من الاعتماد عليها عند الصعود.

رمى بالحبل فكان أطول مما يتوقع وشعر بأحدهم يشدّ الحبل من الأسفل فتمسك به بشدة حتى لا يفلت من يده ويسقط داخل البئر، وكان أبو إصبع قد أمسك بالحبل وربطه حول خصره وطلب من جحدر أن يعطيه الخنجر الذي معه، وقال وهو يمسك بالحائط:

- سأصعد أنا أولًا ومن ثم تتبعني والدة درهم وبعدها أنت يا جحدر، ويكون أبو درهم آخركم.

رفع أبو إصبع برأسه للأعلى مهددًا درهم وهو يقول بصوت مرتفع:

- إنني صاعد الآن أيها الفتى، لا تحاول إفلات الحبل فوالدتك لا تزال مع جحدر.

بدأ أبو إصبع بالصعود ببطء شديد، ومع ارتفاعه نحو الأعلى كان درهم يشد الحبل، ولم يمض على تسلقه إلا القليل حتى انزلقت رجله وأمسك بيديه الاثنتين بأحد حجارة الجدار البارزة ورجلاه تتخبطان بحثًا عن مكان لهما على الحائط، وكان وزنه ثقيلًا جدًا على درهم الذي التصق جسده بجدار البئر وهو يحاول الإمساك بالحبل وفي نفس الوقت أن يثبت نفسه حتى لا يسقط للداخل.

صرخ درهم بصوت عال:

- ما الذي حدث؟ لا أستطيع الاحتمال أكثر.

مرت لحظات على درهم وأبي إصبع الذي ظل يصرخ خائفًا كانت

وكأنها ساعات حتى استطاع أن يضع رجله مرة أخرى على قطعة صخرية ويستعيد توازنه، وعندها أخذ درهم نفسًا عميقًا ونظر إلى يديه اللتين تقرحتا وهو يطلب من أبي إصبع أن يسرع في الصعود.

استغرق أبو إصبع وقتًا طويلًا في الصعود، وعندما بلغ أعلى البئر لم يستطع أن يرفع نفسه ويخرج بسبب وزنه الكبير، فقال لدرهم:

– ماذا بك تنظر إلى هكذا ساعدني على الخروج.

أفلت درهم الحبل من يده، وأمسك بأبي إصبع من ظهره وسحبه بقوة أوقعته أرضًا، وانطلق درهم ضاحكًا على منظره، فك الحبل بسرعة من على خصر أبو أصبع وأعاد إنزاله.

عندها تمسّكت أم درهم بالحبل ولفته حولها وبدأت بالصعود، كانت تصعد بسرعة ونشاط، وكان درهم يسحب بالحبل بشكل أسرع ومرتاحًا هذه المرة، مرت دقائق معدودة حتى خرجت من البئر، ووقفت على حافته، ففكت الحبل وقفزت إلى الأرض، وكان درهم مذهولًا من رشاقة والدته، فلم يكن يعتقد ولو للحظة بأن والدته قادرة على فعل كل هذا.

التفتت إليه مبتسمه:

– ماذا بك؟ أكنت تعتقد أنني عجوز لهذه الدرجة؟!

ابتسم لها درهم وأخذ الحبل من يدها ورمى به، وسألها: من التالي؟

وقبل أن ترد أجاب أبو أصبع:

- سيكون جحدر، وبعده والدك.

كانت والدة درهم تنظر إلى المكان في الوقت الذي كان جحدر يصعد للأعلى فقال لها درهم:

- أتعلمين أين نحن؟ أيّ قلعة هذه؟

ضحك أبو إصبع باستهزاء:

- وكيف لها أن تعلم.

ردّت عليه أم درهم:

- وهل تعلم أنت؟

صمت أبو إصبع ولم يجب، فاستكملت حديثها:

- نحن لا نزال في منطقة أم صلال محمد وهذه يا بني قلعتها التاريخية.

- كل تلك المسافة التي قطعناها داخل ذلك النفق ولا نزال في أم صلال محمد؟

- نعم يا أبا إصبع، فأنا أعرف هذه القلعة، كان والدي في صغري يسكن في منطقة مجاورة لها، وعادة ما كنت آتي إليها معه.

وخلال حديثهم خرج جحدر ورمى درهم بالحبل مرة أخرى وأنزله على الفور لوالده الذي صعد للأعلى، ولحظة وصوله قالت له والدة درهم:

- أهلا بك أيها العجوز، لقد استغرقت وقتًا أكثر مني.

ضحك والد درهم: لا أعتقد ذلك.

- كلا فقد وصلت أسرع منكم جميعًا.

قاطعهم أبو إصبع:

- كفاكم ضحكًا، تقول زوجتك إننا لا نزال في منطقة أم صلال محمد، هل هذا صحيح؟

- نعم، لقد أصابت زوجتي في ذلك.

- لا يهم، هيا ابحثوا عن نصف الخريطة التي وجدناها، أو عن أي شيء آخر يدلنا على الكنز.

كان درهم يعيد لف الحبل وقال:

- ألم تتعب بعد كلّ هذ المسافات التي قطعناها وبعد تسلّق هذا البئر؟

- كلا، لن يقف التعب بيني وبين كنزي.

رد عليه والد درهم:

- سوف نبحث بسرعة حول المكان، وعدد الحجرات هنا كثير، فليتجه كل واحد منكم نحو حجرة ويبحث فيها.

كانت قلعة أم صلال محمد تحتوي على العديد من التصاميم العمرانية على خلاف غيرها من القلاع التي زاروها وكانت أبراجها مربعة الشكل، ولها باب كبير مصنوع من الخشب.

مرت عليهم ساعات وهم يتنقلون من حجرة لأخرى، وأحس درهم بالعطش فتوقف عن البحث متجهًا نحو البئر الذي أتوا منه، أخذ دلوًا صغيرًا وربطه بالحبل وأنزله ليجلب قليلًا من الماء يروي به عطشه، وعندما أخرج الدلو انسكب قليلًا من الماء على أطراف البئر، فعاد إلى الوراء حتى لا تبتلّ ملابسه، تمعن في جدار البئر الخارجيّ، فاتضح أمامه ما لم يخطر على باله أبدًا.

سمع صوت جحدر يسأله عما يفعل هناك عند البئر.

وبسرعة التصق درهم بالجدار حتى لا يلمح جحدر ما كان عليها وقال:

– وما الذي تراه؟ شعرت بالعطش فأتيت لأشرب الماء.

اقترب جحدر منه وأخذ الدلو من أمامه وشرب الماء الذي به وسكب ما بقي منه على الأرض، ورمى الدلو أمام درهم.

لم يقل درهم شيئًا حيال ذلك، التقطه وأنزله في البئر مرة أخرى، حينها كان الجميع متجهًا نحوه، فقد شعروا بالتعب وهم ينتقلون من حجرة لأخرى من دون جدوى، وسألته والدته فور وصولها إليه:

– هل وجدت شيئًا؟

## ١٤

كان يود أخبارها بما رآه على جدار البئر، تأتأ وهو يتحدث، محاولًا إخفاء الأمر، جمع كلماته من جديد وقال:

- نعم، أقصد كلا.. لم أجد شيئًا.. وأنتم؟

ردّ عليه والده وقد شعر أن هناك خطبًا: ونحن كذلك.

قدّم درهم لوالديه الدلو ليشربوا، وبعد أن شربا وضعه على طرف البئر، وهو يتجه نحو والديه، وبحركة سريعة وقبل أن يصل أبو إصبع إلى حافة البئر حمل الدلو وأعطاه إياه.

نظرت والدة درهم نحو زوجها وعلامات الاستغراب واضحة على وجهها بسبب سلوك درهم الغريب، فاقتربت منه تهمس له:

- ماذا به ولدك؟

- لا أعلم، تصرفاته غريبة.

شرب أبو إصبع الماء بشراهة، وكان الماء يتصبب من أطراف الدلو عليه وصولًا إلى قدميه، فأحدث بقعة من الماء تحته والجميع ينظر إليه، وضع الدلو على حافة البئر وقال:

- ألم يجد أيّ منكم شيئًا؟

أجاب الجميع معًا: كلا.

وأكمل جحدر:

- لقد أهلكني التعب والجوع، وقد اقترب مغيب الشمس، لنأكل شيئًا ونرتاح ونكمل بحثنا مع طلوع الفجر.

وبسرعة قال درهم:

- نعم.. نعم، فهو أفضل، لربما كان هنالك ما يدلنا على الكنز ولم ننتبه له بسبب التعب الذي ألمّ بنا.

وافقهم أبو إصبع، فقد أهلكه التعب، فذهب درهم إلى الحقائب التي كانوا يحملونها على ظهورهم يبحث فيها عن طعام، وجاءت والدته لتساعده بينما البقية يعدون مكانًا للنوم في باحة القلعة.

وبصوت منخفض حتى لا يسمعها أحد منهم سألت درهم:

- بنيّ ماذا بك؟

- ماذا يا أماه؟

ابتسمت له والدته:

- أنت تتصرف على غير عادتك، لقد وجدت شيئًا أليس كذلك؟

أجابها درهم مبتسمًا:

- لا يخفى عنك شيء يخصّني يا أماه، فقد كنت أحاول جاهدًا كتمان الأمر.

- لست أنا فقط من لاحظ ذلك، كذلك والدك.

- نعم لقد وجدته بالصدفة، سأخبركما فيما بعد، فلا تدعيهم

يشعرون أن هناك ما نخفيه عنهم، واستعدي أنت ووالدي سنرحل الليلة.

ردّت عليه والدته وهي تحمل في يدها خبزًا وقطعًا من الجبن لفّت بقماش:

- هذا هو ولدي الذي أعرف، لا تقلق فأنا مستعدة من الآن.

عادوا نحوهم بعدما جلبوا ما وجدوه في حقيبة أم درهم، فقالت:

- لا يوجد لدينا طعام سوى أرغفة الخبز هذه وقطع من الجبن، وبقية طعامنا تركناه بسببكما.

بعد انتهائهم من تناول الطعام جلس كل في طرف، واستلقى أبو إصبع على ظهره وهو يمسح بيده على بطنه:

- سأرتاح قليلًا، وأنت يا جحدر أجلس وراقبهم حتى منتصف الليل، وقم بإيقاظي ومن ثم تنام أنت.

ردّ عليه جحدر بتكهم:

أنا من أقترح أن نرتاح قليلًا، والآن تطلب مني أن أجلس وأراقب ثماني ساعات أخرى؟

- ثماني ساعات تجلس فيها تراقب فقط، لن تقتلك.

واستلقى وأشاح بوجهه عن جحدر الذي كان يتمم، ودرهم ووالداه يتبادلون الضحكات.

- لماذا تتبسمون! ناموا وإلا..

لم يعره أحدًا اهتمامًا، واستلقى درهم قرب والده، واقترب برأسه نحوه ليتحدث معه بصوت منخفض حتى لا يسمعه جحدر:

- يا أبي..

قاطعه والده قبل أن يكمل:

- لقد أخبرتني والدتك بالأمر، لا تقلق فنحن مستعدان، ولكن ما الذي سنفعله بهذا الغبي وهو يراقبنا.

- سأنتظر إلى أن يغرق أبو إصبع في نومه فأنقض على جحدر وأسحب منه الخنجر، فتكون الغلبة وقتها لنا.

- حسنًا يا بني، ولكن كن حذرًا.

مرّ على نوم أبي إصبع قرابة الساعتين، وانطفأت النار التي كانوا قد أشعلوها، ولم يكن ينير المكان سوى ضوء القمر الخافت، وصوت شخيره أبي إصبع يملأ المكان.

نهض درهم ببطء حتى يغافل جحدر، وكان والداه يقضين فلم يناما خوفاً على درهم. مشى صوب جحدر، وعيون والديه تراقبانه، وصل درهم إليه ولكنّه لم يقم بشيء وسرعان ما عاد إلى والديه واقترب من رأس والده الذي ارتفع قليلًا ليسمع ما سيخبره به:

- ماذا هناك يا درهم؟

- إنه نائم.

- وماذا ستفعل؟

- لقد وضع الخنجر بجانبه، تعال معي، فسأمسك أنا بخنجره وأنت قم بتغطية فمه حتى لا يتفوّه بكلمة، وأمي تقوم بتكبيل يديه ورجليه.

- ولكن إن استيقظ أبو إصبع على حركتنا؟

- لا تقلق سأتصرف حينها.

نهض والد درهم وأشار لأم درهم أن تقوم وتتبعهما، وبحركة سريعة من الاثنين قام والد درهم بوضع يده على فم جحدر، وتناول درهم الخنجر من على الأرض ووضعه قرب عنقه، ففتح جحدر عينيه ولكن الوقت لم يسعفه للقيام بأي حركة، وظلّ ينظر نحو درهم الممسك بالخنجر في خوف.

وقتها أشار درهم لوالدته أن تقوم بتكبيله، فأخذت قطعة من الحبل وربطت يديه ومن ثم رجليه، وقد قطعت جزءًا من لباسها وأعطته لزوجها الذي قام بلفّها على فم جحدر وهو يقول له:

- حذاري أن تتفوه بكلمة وإلا قطعنا لسانك.

نظر درهم نحو أبيه مبتسمًا وبادله والده تلك الابتسامة، وهو يغمز بعينه لابنه، حيث كان أبو إصبع لا يزال غارقًا في نومه، وبعد أن انتهوا من تكبيل سألته والدته:

- هيا قل لي ماذا وجدت؟

- لقد وجدت الجزء الناقص من الخريطة مرسوماً على جدار

البئر، ولكن ينقصنا الجزء الذي مع أبي إصبع حتى نكمل الخريطة.

- لا بأس سأجلبها لك.

وعلى الفور ذهبت أم درهم إلى أبي إصبع الذي لا يزال غاطًا في نومه، وانحنت نحوه، في حين وقف درهم وأبوه مشدوهين مكانهما ينظران إلى ما ستقوم به، فمدت يدها نحو جيبه، وفجأة انقلب أبو إصبع ووجهه إلى السماء وعيناه مفتوحتان وهو يردد:

- الكنز.. الكنز..

ابعدت أم درهم عنه يدها وهي تنظر إليه، وسرعان ما عاد للشخير مرة أخرى، فضحكت أم درهم بصوت منخفض وهي تحدّث نفسها:

- تنام وعينك مفتوحة!

وبحركة هادئة أخرجت الخريطة من جيبه وبدأت تخطو نحوهما، وهي تشير لهم أن كل شيء على ما يرام، حينها قام درهم بأخذ قطعة من الخشب ووضعها في الجمر الذي كانوا قد أشعلوه سابقًا فاشتعلت القطعة وتحرك بها بسرعة نحو البئر.

نزل درهم يتحسّس جدار البئر:

- لقد كانت الخريطة هنا، ولكن؟!

- ولكن ماذا يا بني؟

- لقد اختفت!

اقترب أبو درهم من الجدار وسأل ابنه:

- هل أنت متأكد من أنك شاهدت الخريطة هنا؟ أين كانت؟

أشار بيده إلى المكان الذي كان قد شاهد الخريطة عليه، وقال:

- كنت أسحب ماءً من البئر عندها انسكب قليلاً منه على أطراف الجدار، فابتعدت عنه حتى لا أبتل، وإذا بالخريطة أمامي هنا، ولكن كيف اختفت؟

جلس أبو درهم يتحسّس المكان الذي أشار إليه درهم، فسأله:

- هل يوجد ماء في الدلو؟

رفع درهم دلو الماء: نعم، فيه القليل من الماء.

تناول أبو درهم الدلو وبدأ يسكب منه حول الجدار، فتبين لهم أنها خريطة مخفية، وما جعلها تظهر سابقًا هو الماء الذي سقط عليها، وخلال ثوان بدأت الرسوم تظهر تدريجيًا:

- ها هي يا بني، أين الخريطة التي معك يا أم درهم؟

فتحت أم درهم الخريطة ووضعتها على الجدار، فاكتمل أمامهم شكل الخريطة: إنها..

أكمل أبو درهم:

- إنها قلعة، ذات أربعة أبراج ركنيّة دائرية الشكل، وبها برج مستطيل يقع في مقدمة القلعة.

- لا يوجد سوى قلعة واحدة في قطر فيها..

وفي نفس الوقت قال ثلاثتهم:

- قلعة الزبارة.

أكملت أم درهم:

- ولكن ألا يزال حرس الساحل يستخدم هذه القلعة كثكنة عسكرية؟

- نعم أعتقد ذلك، فكيف سندخل إليها لنبحث عن الكنز وهم فيها يا أبتِ؟

- هيا بنا لقد حان وقت مغادرتنا لهذا المكان قبل أن يستيقظ أبو إصبع، ولا بأس بوجود الحرس هناك. فليس لدينا ما نخبئه عنهم.

كان جحدر يحرك يديه اللتين ربطتا خلف ظهره في محاولة لفك قيوده، ولكن دون جدوى، في الوقت الذي خرج درهم ووالديه من القلعة، متجهين نحو مدينة الزبارة. كان الوقت حينها يقترب من منتصف الليل، وضوء القمر أنار الطريق، كانوا مرتاحين لتخلصهم من أبي إصبع وجحدر، وحينها قال أبو درهم:

- ها نحن عدنا سويّة متجهين نحو أكبر المدن التاريخية في قطر.

- نعم إنه لشيء رائع أن يجمعنا هذا الكنز في رحلة حول تلك

القلاع والأبراج التاريخية التي شيدت على هذه الأرض، وقد كنت أتمنى أن أزور مدينة الزبارة وأرى سورها الكبير والمنازل القديمة وقلعتها، وها أنا متجهة إليها وبصحبتي زوجي وابني العزيزين.

- كما أعلم فقد بنيت هذه المدينة على أرض سبخة وكانت تحتوي على أكثر من عشرين برجًا. صحيح.. لكن ما الذي سنقوله لخفر السواحل والعسكر الموجودين هناك يا والدي؟

- سنخبرهم بحقيقة ما نفعل، فهم حماة المكان، وسيقدمون لنا المساعدة.

## ١٥

مضى ما يزيد على أربع ساعات عندما بدأت شمس النهار بالظهور، صادفوا في طريقهم رجلًا يجلس مستظلًا تحت إحدى الأشجار وقطيع غنمه يحوم حوله، فنادى عليهم ودعاهم للاستراحة قليلًا معه، وبعدها شكروه واكملوا مسيرهم صوب مدينة الزبارة.

وفي قلعة أم صلال محمد كان جحدر لا يزال يحاول فكّ قيوده عندما بدأت أشعة الشمس تسقط على وجه أبي إصبع الذي استيقظ من نومه وهو ينظر إلى جحدر في وضعه البائس، قفز أبو إصبع من مكانه:

- ما هذا؟ ما الذي حدث؟ وأين هم؟

أسرع نحو جحدر الذي كان يتمتم من تحت القطعة التي غطوا بها فمه، وفور فك قيوده قال بتوتر:

- لقد باغتوني وقيدوني، ومضوا هاربين وأنت غارق في نومك.
- كيف لهم أن يباغتوك والمفترض أن تراقبهم؟!
- لقد غلبني النعاس وغفوت قليلًا، وإذا بي أجد درهم حاملًا خنجري ووالده يغلق فمي، وأمه تكبّلني.
- أيها الأحمق كيف تنام وتتركهم يفعلون بك هذا؟، كيف لنا

أن نعلم أين قد ذهبوا؟

هرول جحدر نحو البئر وأخذ ينظر إلى المكان الذي كان يقف فيه درهم ووالديه، ولحق به أبو إصبع غاضبًا:

- أهذا وقت شرب الماء يا غبي؟

أجابه جحدر وهو ينظر حافة البئر:

- لقد رأيتهم يقفون هنا لفترة طويلة وهم يتهامسون، وكأنهم قد وجدوا شيئًا ما.

وعلى الفور دفع أبو إصبع بجحدر وبدأ ينظر ويبحث وهو يقول:

- أين.. أين؟

- هنا..

وأشار بإصبعه نحو المكان:

- ولكن لا يوجد شيء، لعلهم وجدوا النصف الآخر من الخريطة وأخذوها معهم.

- لا أعتقد ذلك، لا يوجد ما يدل على أنهم حفروا بالمكان، أو نزعوا جزءًا من هذا الجدار، تذكّر ماذا فعلوا.

وقف جحدر للحظات يفكر ثم أخذ الدلو الفارغ، فأنزله داخل البئر بسرعة وأخرجه:

- ابتعد.

- ماذا تريد أن تفعل؟

سكب جحدر الماء بقوة على الجدار، فتناثرت المياه على أبي إصبع مما ثار غضبه فقال:

- أيها الأحمق ماذا تفعل؟

- اصمت قليلًا.. لقد رأيت والد درهم يمسك بالدلو ويسكب الماء على الجدار.

في الصحراء بدأت أسوار مدينة الزبارة الكبيرة بالظهور تدريجيًا، كان منظر المدينة في غاية الجمال وأشعة الشمس تنير أبراجها المتناثرة، وما أن اقتربوا لاحظوا عددًا من الجنود يحرسون مدخل المدينة، أوقفوا درهم ووالداه وسألهم أحد الحراس:

- ما الذي أتى بكم إلى هنا؟

أجابه والد درهم:

- لقد أتينا في أمر مهم، ولن نتحدث إلا مع قائدكم.

نظر الرجل نحوهم متعجبًا من منظرهم، فقد كانت حالهم يرثى لها وبدا عليهم الإرهاق والتعب قال:

- أعتقد أن الأمر الذي أتى بكم إلى هنا في غاية الأهمية، فأقرب منطقة تبعد مسافة خمس ساعات مشيًا على الأقدام، ونادى على أحد الحراس:

- يا أحمد.

تقدم أحد الرجال: نعم سيدي.

- خذ الرجل ومن معه إلى القائد ناصر.

أشار أحمد لهم بيده ليتبعوه وهو يقول: حاضر سيدي.

عبروا مدخل مدينة الزبارة القديمة، هذه المدينة التي كانت فيما سبق من أكبر المدن وأكثرها حيوية ونشاطًا، يأتيها الزوار والتجار من كافة البلدان، فلا تزال معالم المدينة محتفظة بشكلها الذي كانت عليه، على الرغم من قدمها ووقوعها على الساحل الشمالي لدولة قطر، فمنازلها المصنوعة من الطين والحجر جعلها عرضة لعوامل التعرية.

كانت أعين الجميع تنتقل في ذهول حول المكان الشاسع والمنازل القديمة التي على الرغم من تهالك أغلبها إلا أنها لا تزال تحمل تلك الهيبة العمرانية، خاصة في أبراجها الموزعة حول المدينة.

لم يتوغل الرجل الذي كان معهم داخل المدينة بل استمروا في المشي بمحاذاة السور الداخلي حتى وصلوا إلى قلعة الزبارة، حيث كان يتجمع عند مدخل القلعة عدد من العساكر، بادلوهم التحية وهم يعبرون البوابة، وقالت أم درهم:

- هذه هي كما كانت على الخريطة.

ردّ عليها درهم:

- نعم هي كذلك.

توقف أحمد عند أحد العساكر يسأله عن القائد ناصر، فرد عليه

الرجل وهو ينظر بتعجّب إلى من معه:

- تجده في مكتبه.

ساروا في ساحة القلعة متجهين نحو إحدى الحجرات، ودخلوا إلى مكتب القائد، وقف الرجل مكانه وألقى بالتحية العسكرية على القائد الذي ردّ عليه التحية، ثم قال:

- ماذا هناك؟ ومن هم؟

- لقد وجدناهم قادمين نحو المدينة، وعندما بلغوا البوابة طلبوا رؤيتك.

خرج القائد من وراء مكتبه وصافحهم ودعاهم للجلوس، وجلس على الكرسي المقابل لهم:

- هل من أمر يمكنني أن أساعدكم به؟

كان القائد ناصر في الأربعين من عمره، طويل القامة، وشعره خفيف أسود، ويرتدي زيًا عسكريًا يختلف لونه عن باقي العساكر الذين صادفوهم.

بدأ درهم بالحديث عما جرى معهم منذ أن وجدوا الخريطة في منزلهم، وكان والداه يساعدانه في سرد القصة، وأفعال أبي إصبع ومن معه، وكان القائد ناصر منصتًا لحديثهم باهتمام، وسألهم:

- هل تعتقدون أن هذا الكنز حقيقي وأنه موجود في هذه القلعة.

أجابه درهم:

- نحن لسنا متأكدين من وجوده هنا، ربما كانت هذه القلعة أيضًا مجرد جزء من اللغز الذي استخدمه سازيران ليخبئ كنزه، ولربما كان هذا المكان هو آخر جزء في هذا اللغز.

- بما أنكم وجدتم هذه الخرائط، واجتهدتم في حلّها، وواجهتم كل تلك المصائب، فإن فضل اكتشاف هذا الكنز يعود لكم، فماذا أنتم فاعلون بالكنز إن وجدتموه؟

ابتسم درهم وتوجه بكلامه نحو والده:

- في الحقيقة لم نتحدث أنا ووالداي عن هذا الأمر سابقًا، وأعتقد أن السبب إن وافقا على كلامي، هو أن هذا الكنز ليس من حقنا، بل من حق كل من يعيش على هذه الأرض.

حرك والد درهم رأسه يؤكد حديث ابنه:

- نعم، وهو كذلك، فهذا الكنز أغلى من أن يملكه شخص أو اثنان، يجب أن يوضع في مكان يستطيع الجميع أن يتمتع بمشاهدة كل ما تحويه كنوز سازيران العظيمة من التحف والتماثيل التي جمعها من مختلف بقاع العالم.

وقف القائد ناصر وقال:

- لم أنتظر منكم ما هو أفضل من هذا الكلام الذي قيل على مسامعي الآن، إن المدينة وكل من فيها من عسكر سيكونون

تحت تصرفكم، ولي شرف اللقاء بكم والتعاون معكم، ولكم الحماية من ذلك المدعو أبي إصبع.

شكر درهم ووالداه القائد ناصر وسأله درهم إن كانوا وجدوا أي رسوم غريبة في المكان، بما أنهم يسكنون في هذه القلعة منذ زمن.

- كلا يا درهم للأسف، ربما كانت موجودة ولم ننتبه لها، ولكن يوجد في المدينة أحد المنقّبين المسؤولين عن دراسة المدينة والتنقيب عن الآثار، لربما أفادكم في مثل هذا الأمر.

- رائع.

تقدمهم القائد ناصر وهم خارجون إلى باحة القلعة، وأقبل عليه أحد العساكر وألقى التحية العسكرية:

- اذهب وقل للمنقّب جابر أن هنالك أمرًا هامًا أريد أن أحدثه فيه.

لم يغب العسكري دقائق معدودة حتى أتى ومعه رجل كبير السن يغطي رأسه ولحيته الشيب، ويلبس نظارة طبية كبيرة الحجم، ألقى التحية على الجميع وخاطب القائد قائلًا:

- ماذا هناك أيها القائد، فقد أخبروني أنك تريدني في أمر هام؟

- نعم، سأتركك مع درهم ووالديه، فهناك أمر هام واكتشاف ربما يكون أهم الاكتشافات التي قد نجدها، وهم في حاجة

إلى مساعدتك.

وضع المنقّب جابر يده على نظارته يحركها حتى يستطيع أن يرى بوضوح:

- اكتشاف هام!

قال درهم:

- نعم، إن وجدنا الكنز.

بدا على وجه المنقّب الذهول:

- كنز!! هنا؟

- نعم، ولكن نحن الآن نبحث عن خطوط أو كتابات عثمانية، أو أي نقوش قديمة يمكنها أن تدلنا على مكان الكنز.

قام درهم بإخراج أول خريطة وجدوها في منزلهم، وأعطاها للمنقّب جابر، وهو يشير بإصبعه إلى ما كتب فيها، كان المنقّب جابر يحك رأسه وهو ينظر إليها بتعجب ويحاول أن يتذكر إن كانت قد مرت عليه مثلها سابقًا، ثم قال:

- لقد وجدنا العديد من القطع الأثرية القديمة في المدينة.

قاطعته والدة درهم:

- كلا ما نريده نحن، ونبحث عنه يجب أن يكون في هذه القلعة.

- هذه القلعة لا أعتقد أن.. هل هذا رسم عثماني؟

رد عليه درهم: نعم.. نعم..

- في تلك الزاوية من القلعة، وعلى الحائط هناك.

وأشار بيده نحوها، وقبل أن يكمل كلامه كان درهم ووالداه قد بدأا بالركض نحو المكان الذي أشار إليه.

استغرب جابر مما فعلوه، وحاول اللحاق بهم ولكن بسبب سنه الكبيرة لم يكن قادراً على ذلك، وهو يحدث نفسه:

- ماذا دهاهم! لم أكمل كلامي بعد..

## ١٦

في قلعة أم صلال محمد تسمّر كل من جحدر وأبي إصبع يحدقان في جدار البئر حينما بدأت الخريطة تدريجيًا تظهر أمامهما:

- عجبًا، إنها النصف المفقود من الخريطة.

- ولكن كيف لنا أن نعرف مكانهما ونحن لا نملك نصفها الآخر.

ضحك أبو إصبع، ومد يده في جيبه يبحث عن الخريطة:

- كيف وهي معي.. ولكن أين!! أنا متأكد بأنها كانت بحوزتي.

تلعثم جحدر فهو لم يخبره بأنهم قد أخذوا منه الخريطة وهو نائم:

- لقد..

- لقد ماذا؟

- لقد أخذت والدة درهم الخريطة من جيبك وأنت نائم.

رد أبو إصبع غاضبًا:

- سحقاً لهم.

واقترب يتمعن في الرسوم على جدار البئر وقهقه ثم قال:

- أين سيهربون مني!

- لماذا تضحك؟ هل تعرفت على القلعة؟

- بالطبع، هيا لنجمع حاجياتنا، ولننطلق قبل أن يجدوا الكنز ويفروا.

خرجوا من قلعة أم صلال محمد، كان أبو إصبع يعلم إلى أين اتجهوا، فليس هناك من لا يعرف شكل قلعة الزبارة، وكان يفصل بينهم مسافة أربع ساعات مشيًا على الأقدام، ولم يكن أمامهم أي وقت للراحة إذا ما أرادوا اللحاق بهم.

وفي قلعة الزبارة لحق المنقّب جابر بدرهم ووالديه بعد معاناة، ووقف يلتقط أنفاسه وكأنه كان يركض لمسافة ميل، وهم غارقون في البحث عن الرسوم في المكان الذي أشار لهم نحوه:

- أين هي تلك الرسوم؟

- لم تتركوني أكمل كلامي يا بني، وانطلقتم راكضين، لم تعد تلك الرسوم موجودة.

- كيف؟ ماذا تقصد بأنها لم تعد موجودة؟

- يا سيدتي عندما بدأت عمليات التنقيب في المدينة، كانت قد تأثرت بعوامل التعرية والرياح والأمطار، ومرت سنوات عديدة وأنا أنقّب في المدينة، وكانت الرسوم غير واضحه وقتها، وقد زال ما كان موجودًا منها في السابق واختفت مع مرور الوقت.

- وما الذي سنفعله الآن يا والدي.

جلس أبو درهم على الأرض وهو يحك رأسه:

- لا أعلم يا بني فمن دونها لن نستطيع أن نعرف مكان الكنز.

- عفوًا، أي كنز تتحدثون عنه؟

أجابه درهم:

- إنه كنز سازيران، وقد وجدنا عددًا من الخرائط كتلك التي أريتك إياها منذ قليل، وغيرها من الإشارات التي قادتنا إلى قلعة الزبارة.

فتح المنقّب جابر عينيه حتى كادتا أن تصبحان بحجم نظارته الكبيرة، وقال:

- كنز سازيران! الكنز الكبير.. الكنز الذي قام بجمعه من مختلف بقاع العالم.

جلست والدة درهم بجانب زوجها تنهدت وقالت:

- نعم، نعم، الكنز الذي لن نستطيع أن نصل إليه بعد أن اختفت تلك الرسوم.

لم يعلّق المنقّب جابر على حديثهما، وتحّرك بسرعة إلى إحدى الحجرات في القلعة، كان يمشي بخطوات سريعة، وكأن الحياة قد دبت به من جديد.

نظر درهم نحوهما مستغربًا:

- ماذا حصل له؟

- لا أعلم يا بني، ولكن بدا عليه الذهول عندما عرف بأمر الكنز، وبما أنه منقب عن آثار لابد أنه يعلم قيمة هذه الثروة.

ولم تمر دقائق حتى عاد إليهم ممسكًا لفافة من الورق، وجلس على الأرض بجانب والدي درهم وهو يشير بيده لدرهم أن يقترب ويجلس بجانبه، وتحدث لهم بصوت منخفض وكأن هناك أحدًا غيرهم في المكان ولا يريد أن يسمع كلامه:

- تعال يا بني، تعال واجلس هنا.

سأله درهم وهو يجلس بجانبه:

- ما هذا؟

- إنني أقوم بكتابة وتوثيق كل ما أجده في المدينة، ولقد قمت بنسخ ما كان مكتوبًا على الحائط، و لكنني غير مختص بالخط العثماني فلا أعلم ما الذي كان يعنيه.

قال له أبو درهم:

- لماذا لم تخبرنا بذلك، وتركتنا هكذا حائرين!

- لم يسألني أحد منكم إذا كنت قد وثّقت ما كان على الجدار.

رد عليه أبو درهم:

- وكيف لنا أن نعلم بأنك توثّق كل شيء؟

اقترب درهم أكثر من المنقّب جابر وهو متحمس لرؤية ما في يده:

- لا بأس.. لا بأس.. دعونا نرى ما بها.

فتح المنقيب جابر اللفافة وفرشها على الأرض، نظر والد درهم إلى الكتابة، ولكنها كانت كالكلمات المتقاطعة، وهناك الكثير من الحروف الناقصة فيها:

- ليست بكاملة، هنالك كلمات قد اختفت منها.

سأل درهم:

- وما الذي تستطيع قراءته منها؟

داويه ومره    اعـ
هـ    انانـ    ـحاليه لامـ
هلا ـاب

أمسك أبو درهم الورقة وقربها نحوه وحاول قراءتها:

- «زاوية... ومر.... أعـ.... و... انات.... خالية.. لا مـ.. ولا باب». هذا ما بقي من اللغز.

- لا شيء مفهومًا منها.

- والقلعة مليئة زوايا.

- لا أعلم، لن نستطيع حلها، وهي هكذا.

ظل ثلاثتهم جالسين على الأرض يناقشون ويبحثون عن حلول أو كلمات يمكن إكمالها، وأم درهم تمعن النظر إلى الورقة دون أن

تتفوه بكلمة، وهي تحاول استكمال الناقص منها، وفجأة وقفت تدور حول نفسها تنظر حول المكان، وقالت:

- زاوية ومربعات..

أعمدة وأسطوانات خالية..

لا منفذ فيها ولا باب..

صاح درهم مذهولًا:

- أماه!

وبهدوء ردت عليه: نعم يا بني.

- كيف عرفت بأن هذه الكلمات هي الناقصة؟

- يا بني ألا تزال تستهين بي! أيها المنقّب جابر هل هنالك زاوية من زوايا القلعة تختلف عن الأخريات؟

قال درهم:

- الأسطوانة، ربما يقصد بها أحد الأبراج الدائرية، ولكن لا منفذ فيها ولا باب!

رد أبو درهم قائلًا:

- جميعها لها منافذ وأبواب، أليس كذلك أيها المنقّب جابر؟

- نعم، ولكن..

- ولكن ماذا؟ هل اختفت أيضًا؟

- كلا يا بني، إنها تقع داخل إحدى الحجرات وليست في

الأبراج، وكنت عادة ما استغرب وجودها فهي كالحجرة داخلها ولكن لا باب لها، كنت أعتقد أنهم بنوها هكذا، أو أنهم كانوا قد بنوها كحجرة صغيرة ومن ثم قاموا ببناء حجرة أكبر فوقها.

وقف أبو درهم:

- أين هي؟

سار المنقّب جابر بصعوبة:

- إتبعوني.

أخذهم إلى داخل إحدى الحجرات، ولم تكن كمثيلاتها من الحجرات، فقد كان هنالك حائط داخلها احتل نصف المكان كأنه حجرة مكعبة الشكل ولكن دون مدخل.

- لقد قمت بالتنقيب في العديد من القلاع، وهذه الوحيدة التي وجدت فيها تصميمًا كهذا، هل تعتقدون أن الكنز موجود بالداخل؟

اقترب درهم من الحائط:

- داخلها لا أعتقد، فحجم المكان صغير على كنز سازيران كما وصفه والدي، فهو يحتاج إلى مكان أكبر من هذا بمئات المرات.

- أصبت في ما قلت يا ولدي، ربما كان داخلها ممر آخر، من

الممكن أن يأخذنا إلى قلعة أخرى كما حدث في قلعة أم صلال محمد، أو أن يكون هذا هو مدخل الكنز.

قاطعتهم أم درهم قائلة:

- هل انتهيتما؟ إن كان الكنز هنا أم لا، فالأهم من هذا هو كيف سندخل؟

تحسس درهم بيده على الحائط:

- لا بد من وجود طريقة ما.

أخرج السكين من الحزام المربوط على خصره، وبدأ يحك به أطراف الحجارة المرصوصة في الجدار، وبعد أن أفرغ حوافها من جميع الجهات، غرس الخنجر في طرف قطعة الحجر وهو يسحبها إلى الخارج، فسقطت على الأرض، ولكنه تعجب من وجود حائط آخر ملاصق للحائط الخارجي.

- كيف ذلك؟

اقترب أبو درهم منه وهو ينظر إلى الحائط الآخر:

- لعلهم بنوا هذا الحائط فوق حائط آخر كان موجودًا قبله، لنزل ما نستطيع ونرى ماذا يوجد خلفه.

قام الجميع بما فيهم المنقّب جابر بإزالة الصخور حتى صرخ قائلًا:

- لقد وجدت المدخل، ها هو هنا.

## ١٧

بعد أن أزالـوا جزءًا كبيرًا من الحائط وهـم يحركون الحجارة ويبعدونها من كل ناحية، تبين لهم وجود باب خلف ذلك الجدار وقد تمت تغطيته جيدًا، عندها قال أبو درهم:

- رائع، وكعادتها لم تخطئ والدتك في تفسيرها، تعال إلى هنا وحاول أن تزيل هذه الصخور باستخدام السكين الذي معك.

دخل عليهم القائد ناصر وهم يهدمون الجدار فوقف مذهولًا:

- ماذا تفعلون لماذا تهدمون هذا الجدار؟

أجابه المنقّب جابر وقد ملأه الحماس:

- لقد وجدنا مدخلًا سريًا.

ساعدهم القائد في إزالة الحائط وأصبح مدخل الحجرة أمامهم، باب خشبي قديم، محفور عليه نقوش إسلامية، وقفل من الحديد كبير الحجم، كان درهم يتفحص القفل الذي على الباب محاولًا فتحه:

- ها هو المدخل، ولكن كيف سنفتح الباب وهذا القفل الكبير هنا؟

أخرج القائد ناصر سلاحه:

- ارجعوا للخلف، سأطلق عليه النار فينكسر.

وبسرعة قفز المنقّب جابر على الباب:

- كلا هل جننت؟ تريد أن تطلق النار على قفل يعود لمئات السنين.

- وما هو حلك؟

أخرج حقيبة سوداء صغيرة، وفرشها على الأرض، كانت تحتوي على العديد من أدوات التنقيب، فراش متعددة الأحجام وقطع حديدية أخرى، تناول إحدى تلك القطع وهو يقول لهم:

- هذا قفل قديم ومن السهل أن يفتح.

وأخذ يحرك القطعة الحديدية داخل القفل في مكان دخول المفتاح، وما هي إلا لحظات حتى سمع صوت مسننات القفل فصاح مبتهجًا:

- لقد فتحته.

كانت الغيوم تملأ السماء وتحجب أشعة الشمس، في الوقت الذي كان فيه أبو إصبع و جحدر يقطعان الصحراء التي امتلأت بالشجيرات الصغيرة المتناثرة، وعندما بدأت أصوات الرعد والبرق حولهما نظر أبو إصبع نحو السماء:

- يجب أن نسرع فهطول الأمطار سوف يبطئ سيرنا، وستصبح خطواتنا أثقل مع ابتلال الأرض وتحوّلها إلى سبخات.

- ولكنني لا أعلم حتى الآن إلى أين نحن ذاهبان؟

- إلى قلعة الزبارة، أيها الأحمق.

- أين منا هو الأحمق، ألا تعلم بأن عسكر السواحل وبعض الجنود موجودون هناك، والآن سيكون درهم ووالداه قد بلغا القلعة، وقصوا عليهم كل الحكاية، هل تريد أن يقبض علينا ونسجن؟

- أعلم ذلك، دعني أفكر في حل، حتى نصل.

بدأت قطرات الأمطار تهطل بشكل خفيف وما هي إلا لحظات حتى زاد هطول الأمطار بشكل انعدمت معه الرؤية، وكذلك الأمر في قلعة الزبارة فقد كانت أصوات الرعد تملأ السماء، في الوقت الذي وقف فيه المنقّب جابر يتفحص القفل الذي بيده أمام الباب الذي لايزال مغلقًا والجميع يترقبون وينتظرون أن يقوم بفتح الباب، فقطع عليه درهم ما كان يقوم به:

- أيها المنقّب هناك ما هو أهم من القفل الذي بيدك خلف هذا الباب، افتحه أو دعنا نفتح الباب لنرى ما في الحجرة.

رجع جابر خطوتين للوراء:

- اعذروني فهي عادة لا أستطيع أن أتركها، فلكما صادفت قطعة قديمة أمعن فيها النظر والفحص وأنسى كل شيء آخر.

تقدم درهم نحو الباب:

- لا بأس.

أمسك درهم مقبض الباب وسحبه حتى يفتح، وقبل أن يقوم بذلك تبادل النظرات مع والديه الذين هزا رأسيهما، فدفعه نحو الداخل ومال الجميع برؤوسهم ليروا ما في الغرفة.

تقدم القائد ناصر ينظر داخل الحجرة من وراء درهم:

- ما هذا؟

على الرغم من صغرها إلا أنها كانت مليئة بالأسلحة والذخيرة، كانت الجدران كلها مغطاة بالسلاح، وتحتوي على عدد من الصناديق الخشبية المكدسة حول المكان. دخل الجميع عدا المنقّب جابر الذي ظل خارجًا يتفحص القفل الذي بيده وكأنه أحد الكنوز.

ذهب كل واحد منهم إلى طرف من الحجرة وشرعوا بفتح الصناديق الخشبية التي كانت تحتوي على عدد الكبير من السيوف والرماح وأعدد كثيرة من البنادق القديمة، تعجبت والدة درهم وتساءلت:

- ما كل هذه الأسلحة؟

رد القائد ناصر:

- لا أعلم، ولكن يمكن تجهيز وحدة عسكرية لا تقل قوامها عن ألف جندي بكل هذه الأسلحة.

- وهل كان سازيران ومن معه بهذا العدد يا أبا درهم؟

- لا، فكل الروايات والقصص عنهم تشير أنهم كانوا لا يتجاوزن الثلاثين شخصًا.

وخلال حديثهم كان المنقّب جابر لا يزال غارقًا في أمر قفله، وكان يتقدم إلى داخل الحجرة بخطوات بطيئة متبعًا أصواتهم دون النظر إلى شيء آخر غير ما في يده، حتى وصل للداخل ورفع رأسه، فذهل من ما كان فيها حتى أنه أسقط القفل الذي في يده على الأرض فانكسر:

- يا إلهي ما كل هذا؟!

التفت الجميع نحوه، فهم لم يلاحظوا أنه لم يدخل معهم، وقال له درهم:

- أين كنت؟

تقدم يتحسس الأسلحة المعلقة على الحائط:

- لقد كنت أتفحص القفل.

نظرت والدة درهم نحو القفل:

- وها قد أوقعته على الأرض وتفتت.

لم يعر المنقّب الأمر أي اهتمام وكان الآن يعيش مرحلة جديدة مع كل تلك الأسلحة فينظر لها قطعة قطعة.

توجه القائد ناصر بحديثه نحو درهم:

- ولكن لا يوجد ما يدل على وجود الكنز هنا، أليس كذلك؟

- نعم، والأغرب أنه لا وجود إلى ما يشير لمكان آخر، أو خريطة أخرى كالتي وجدناها سابقًا، ماذا سنفعل يا والدي؟

- لا أعلم يا بني، ماذا رأيك يا أم درهم؟

ظلت أم درهم تنظر في المكان:

- لا أعلم!

قاطع المنقّب جابر حديثهم وهو يتفحص الأسلحة:

- إن هذه الأسلحة مجموعة من أسلحة تم استخدامها في إحدى الحروب التي انتصر فيها سكان قطر..

توقف عن الحديث وهو يحمل إحدى القطع المعلقة على الحائط:

- إنها تشبه ما وجدته سابقًا هناك.

لم يستطع درهم أن يضبط نفسه أكثر:

- أي حرب؟؟ وهزموا من؟؟ وأين وجدت مثلها؟؟

لم يجبه المنقّب جابر، فقد كان مستغرقًا في النظر إلى قطعة السلاح التي في يده حتى صرخ فيه الجميع وفي نفس الوقت:

- جابر!

أرتعب المنقّب جابر وكاد يوقع السلاح الذي بيده على الأرض فاحكم قبضته عليه:

- ماذا بكم؟ لقد أفزعتموني..

- لا شيء.. نريد أن تكمل القصة التي بدأتها!

أعاد قطعة السلاح إلى محلها، وهو ينظر حوله:

- عندما كنت أنظر إلى القفل، استغربت وجوده هنا، فهو لا يشبه

أية أقفال عثرت عليها بهذا المكان، وتذكرت أمرًا، ثم دخلت إلى هذه الحجرة، ووجدت كل هذه الأسلحة التي تشبه أسلحة أخرى عثرت عليها وبكميات أكبر في إحدى القلاع، عاد مرة أخرى يتفحص قطعة جديدة وتوقف عن الحديث.

تبادل درهم ووالدته النظرات حينما رفعت والدته يديها للأعلى في حركة تتساءل عما يمكن فعله، في حين جلس القائد ناصر على أحد الصناديق الخشبية ووضع يده على وجهه قائلًا:

- يا إلهي!

اتجه والد درهم نحو المنقّب جابر، وأخذ السلاح الذي بيده:

- إنها قطعة جميلة أليس كذلك؟

رد عليه جابر:

- نعم، إنها رائعة.

قام بتعليق القطعة مكانها، ووضع يده على كتف المنقّب جابر:

- ما رأيك أن نجلس قليلًا لتحدثنا عن أمر هذه الحجرة، فنذهب نحن ونتركك لتأخذ وقتك مع ما بها.

جلس المنقّب جابر على أحد الصناديق الخشبية ووالد درهم بجانبه:

- نعم.. نعم.. عندما كنت أنقّب في أقدم القلاع الموجودة في قطر، والتي شهدت معركة انتصر فيها أهل قطر على القوات العثمانية فيما مضى..

قاطعة درهم:

- هل تقصد قلعة الوجبة؟

رد عليه جابر:

- بالطبع، وكما قلت فعندما كنت أنقّب فيها وجدت هناك الكثير من السيوف والدروع مثل هذه تمامًا، وحتى الأقفال التي كانت توضع على أبواب القلعة كانت مثل هذا القفل الذي كان على هذا الباب.

وانتقل بنظره نحو بقايا القفل على الأرض:

- يا إلهي لقد انكسر قفلي الأثري..

قال درهم لوالده:

- ولكن إذا افترضنا أن سازيران جلب كل هذه الأسلحة إلى هنا، ولكن لماذا؟ ولم خبأها بتلك الطريقة؟

- لا بد وأن سازيران كان في حاجة للسلاح، فالطامعون بكنوزه كانوا كثر، فربما كان هذا المكان الذي يتزود منه بالسلاح متى احتاجه.

وقفت والدة درهم وسط المكان:

- إذا ستكون وجهتنا إلى قلعة الوجبة، فكل ما يوجد هنا يدل على أن سازيران قد زار القلعة، وبما أنها تعد أقدم قلاع قطر، ربما وجدنا الكنز هناك.

## ١٨

كانت لا تزال الأمطار تنهال وبشدة، والسماء غائمة ما حجب أشعة الشمس. توجه القائد ناصر نحو الباب يتفقد الجو في الخارج:

- ولكن في هذا الجو الماطر فإن من الصعب عليكم الرحيل، فالرحلة من هنا حتى قلعة الوجبة ليست هينة.

رد عليه أبو درهم:

- لا بأس سننتظر حتى يتحسن الجو، ومن ثم ننطلق فنكمل رحلتنا.
- لكنني لا أستطيع أيضًا ترككم تذهبون لوحدكم، فهناك خطر آخر عليكم، وهو أبو إصبع والرجل الذي معه، فماذا لو هاجمكم مرة أخرى؟ لذلك سأرسل معكم أحد العساكر ليرافقكم في ترحالكم و لحمايتكم، فأنا لا أستطيع أن أترك المكان هنا، اعذروني.
- كلا أيها القائد، لقد أكرمتنا ولن نطمع بالمزيد، ولا أعتقد أن أبا إصبع يعلم بمكاننا، فقد أخذت والدتي الخريطة منه، ولا يعلم أن النصف الآخر منها موجود على جدار البئر.
- أعلم ذلك، ولكنني لا أريد المجازفة، فمن الأفضل أن يخرج معكم أحد العساكر حتى نطمئن عليكم، وإن صادفكم

مستجد آخر فيكون حاضرًا ليساعدكم.

شكر أبو درهم القائد وقاطعتهم والدة درهم:

- أنا والله لأشعر بجوع شديد، فهل من الممكن أن نخرج من هذه الحجرة ونتناول بعض الطعام؟

ضحك الجميع ورد عليها درهم:

- آه يا أماه وكأنك تقرئين ما يدور في عقلي.

- إذا هيا بنا.

تناولوا الطعام براحة لم يشعروا بها من قبل، ودارت بينهم الأحاديث والضحكات، وخلال ذلك توقف المطر عن الهطول، وكانت الأجواء صافيه، والهواء منعشًا، فشكر أبو درهم القائد على الطعام واستأذنه بالمسير، فنادى القائد ناصر على أحد العساكر وطلب منه تجهيز بعض الطعام والخبز ليحملوه معهم في ترحالهم.

كان أبو إصبع و جحدر وقتها قد وصلا إلى مشارف مدينة الزبارة، وملابسهما مبتلة ما عكر صفوهما، فقد كانت الرياح عاصفة بقوة والأمطار غزيرة، بالإضافة إلى هروب درهم ووالديه، ما زاد حقد أبي إصبع وغضبه، وتنبه جحدر إلى وجود العساكر خارج المدينة، فدفع بأبي إصبع على الأرض، والتصقت الرمال الطينية بملابسه وقال:

- ماذا فعلت، ألا يكفيني ابتلال ملابسي والآن أصبحت غارقًا

بالرمال أيضًا.

أشار جحدر بإصبعه نحو العساكر:

- انظر هناك.. كيف لنا أن ندخل بوجود كل هؤلاء؟ لقد ضاع الكنز منا.

وما أن أكمل جحدر جملته، حتى شاهدا درهم ووالديه مع مجموعة من الرجال يخرجون من مدخل المدينة، وقد خرج معهم القائد ناصر والمنقّب جابر ليودعوهم ويتمنون لهم رحلة موفقة، نادى القائد على أحد العساكر:

- بلال.

تقدم نحوه أحد الواقفين وبادله التحية العسكرية:

- نعم سيدي.

- هل أنت جاهز لترافقهم؟

- بالطبع يا سيدي.

كان أبو إصبع و جحدر يختبئان خلف إحدى التلال يراقبان الوضع، حتى قال جحدر:

- هذا يعني أنهم لم يجدوا الكنز داخل القلعة.

- نعم، إنه كذلك، لكن انظر، هناك أحد العساكر خرج معهم، على الأغلب قد أخبروهم بأمر الكنز وأمرنا.

- وما الذي سنفعله؟

- سنتبعهم من بعيد حتى لا يلاحظونا، وسنرى بعد ذلك ما نفعل بأمر هذا الرجل، والله لو خرج معهم من في القلعة كلها لما حالوا بيني وبين كنزي.

وفي الأثناء اقترح عليهم درهم أن يسلكوا طريقًا آخر غير الذي أتوا منه، حتى لا يصادفوا أبا إصبع في طريقهم، فهم لا يعلمون إن كان لا يزال في قلعة أم صلال محمد أم أنه قد خرج منها.

قطعوا مسافة طويلة سيرًا على الأقدام عندما صادفوا عددًا من الأشجار الصحراوية الكبيرة وارفة الظلال، فقرروا أن يستريحوا قليلًا تحت الأشجار ومن ثم يكملوا طريقهم، قبل أن تغيب عليهم الشمس.

كانت الضحكات والحكايات تتنقل بين الجميع عندما استأذنهم بلال ليقضي حاجة بعيدًا عنهم، ومشي حتى تأكد أنه بات بعيدًا عن أنظارهم، ولكن ومن حيث لا يعلم أحس بشخص ما يقف خلفه، وما إن التفت إلى الوراء حتى باغته أبو إصبع وضربه بعصا خشبية على رأسه فسقط مغشيًا عليه، فأشار أبو إصبع بيده لجحدر الذي أتى وهو ينظر إلى بلال الذي غطت الدماء وجهه:

- ما الذي سنفعله الآن؟

- انزع عنه ملابسه وارتدها.

نزع جحدر ومعه أبو إصبع ثياب بلال، ولبسها جحدر وأخذ بندقيته.

- تلثم ولا تظهر وجهك، واذهب نحوهم كأنك بلال وما إن تصل إليهم ارفع سلاحك، وإن حاول أحدهم أن يتحرك، لا تتردد في إطلاق النار.

في تلك الأثناء كان درهم ووالداه يتمددون تحت ظلال إحدى الأشجار، في انتظار بلال، حتى ظهر أمامهم متلثمًا، فتعجبوا من هيأته وسأله درهم:

- ما بك يا بلال ولم أنت ملثم؟

لم يجبه ورفع السلاح في وجوههم، فانتصب الجميع مسندين ظهورهم إلى الشجرة، وقالت أم درهم:

- ماذا حل بك؟

أشار جحدر بيده نحو أبي إصبع ليقترب، وما إن لمحوه حتى وقف درهم:

- أنت معهم، ولكن كيف؟

أزال جحدر اللثام عن وجهه وابتسم:

- أكنتم تعتقدون أنكم ستفلتون منا؟

وصل أبو إصبع إليهم ضاحكًا:

- ماذا كنتم تتوقعون؟ لو خرج جيش معكم ما استطاع أن يأخذ الكنز مني.

ردت أم درهم والدموع تغرق عينيها:

- ولكن ما ذنب ذلك المسكين، ماذا فعلت به؟
- انسوا أمره فقد لقي مصيره، وإن حاولتم التلاعب مرة أخرى ستلحقون به.
- وهل يستحق الكنز أن تقتل الناس؟ إن كنت تريده فهو لك، فنحن لا نريد منه شيئًا، ولكن اترك عائلتي وشأنها.

ضحك أبو إصبع وهو يقول:

- هيا قوموا، أين هو الكنز، وإلى أين وجهتنا؟

اجاب درهم غاضًا:

- إنه في قلعة الوجبة أيها اللعين.

كان أبو إصبع يمشي قريبًا منهم، بينما ظل جحدر خلفهم ممسكًا بالسلاح، وهو يحدث نفسه:

- لقد أخطأت يا أبا إصبع عندما سلمتني هذا السلاح، فسيكون مصيركم جميعًا الموت حالما نصل إلى الكنز.

لم تتوقف عينا أم درهم عن البكاء حزنًا على بلال، وخوفًا مما ينتظرها مع زوجها وابنها.

كان هنالك موكب من العسكر المتجهين نحو قلعة الزبارة، عندما لاحظ أحد الجنود بلال وهو ملقى على الأرض والدماء تسيل من رأسه، وقف قائدهم وهبط من على حصانه ومعه عدد من العساكر، فاقترب منه ليرى إن ما يزال على قيد الحياة، ولكن كانت الضربة

قوية على رأسه مما جعله ينزف وبشدة:

- ماذا يفعل هذا الرجل هنا، وأين ملابسه؟ لا بد أن لصوصًا قطعوا عليه الطريق فأردوه قتيلًا.

قطع عليه أحدهم حديثه وقال بصوت مرتفع:

- إنه بلال!!

رد القائد:

- من تقصد ببلال؟ أتعرفه؟

- إنه أحد العساكر من القلعة، أنا أعرفه.

قاموا بحمل جثته بعدما غطوها وانطلقوا مسرعين نحو القلعة ليتأكدوا أنهم لم يواجهوا أي مكروه، وما إن وصلوا إلى بوابة القلعة، حتى نادى قائد المجموعة على القائد ناصر الذي كان لا يزال قريبًا من مدخل مدينة الزبارة، فاتجه نحوه متعجبًا:

- ماذا هناك؟

وقع نظره على جثة الرجل وهم ينزلونه من على أحد الخيول، وقال له قائد العسكر:

- لقد وجدناه قريبًا من المدينة مقتولًا وقد نزعت عنه ملابسه.

اقترب القائد ناصر ليلقي نظرة عليه فصرخ قائلًا:

- بلال!! ولكن كيف! أين الذين كانوا معه؟

رد قائد العسكر:

- لقد وجدناه مرميًا بين الشجيرات، ولم يكن معه أحد.
- لقد أرسلناه مع عائلة قصدتنا لأمر، وكان هناك من يتبعهم ويهدد بقتلهم، لقد وجدهم وقتل أحد رجالي..

نادى القائد ناصر بصوت عالٍ تناقلت الأرجاء صدى صوته:

- أيها الرجال!

فتجمع حوله عدد من العساكر، وبان على وجهه الغضب فقال لهم:

- استعدوا.. لن أترك دم بلال يذهب هكذا، ولا نعلم ماذا سيفعل أولئك اللصوص بعائلة درهم.

وخلال لحظات خرج العساكر يترأسهم القائد ناصر متجهين نحو قلعة الوجبة، وفي تلك الأثناء كان درهم ووالداه ومعهم أبو إصبع و جحدر يكملون سيرهم، والخوف لا يزال يتملك أم درهم مما يمكن لأبي إصبع أن يلحق بهم، بعدما قتل بلال.

بدأت الشمس تغيب تدريجيًا، ولكن أبا إصبع لم يتوقف عن المسير حتى عندما بدأ الظلام يحل عليهم وقال:

- لن نتوقف في مكان مكشوف فهناك عدد من المنازل القديمة القريبة منا والتي لا يسكنها أحد، ستكون مكانًا آمنًا نقضي الليل فيه، وسأبقى أنا اليوم يقظًا لكم، فلا يفكر أحد منكم في التحرك وإلا فقد حياته.

كان القائد ناصر يتحدث إلى العساكر الذين خرجوا معه في أثر درهم ووالديه:

- لن ننام اليوم، وسنستمر في سيرنا خلال الليل، حتى نستطيع اللحاق بهم.

وافقه الجميع، فرؤيتهم لأحد زملائهم مقتولًا أثار الغضب في نفوسهم، لدرجة أن النوم أو الشعور بالتعب كان آخر ما يفكرون به.

## ١٩

غابت الشمس ومرت ساعات الليل الطويلة على كل من درهم ووالديه دون أن يغفل لهم جفن، كلٌ يفكر فيما حدث وما الذي سيلحق بهم في حال وجدوا الكنز، ولكن الأمر هذه المرة قد خرج عن السيطرة، وبانت نوايا أبي إصبع واضحة، فقد ظل مستيقضًا طوال الليل يراقبهم ومعه زاد حقده عليهم ولن يتركهم حتى وإن وجدوا الكنز.

ومع ظهور أشعة الشمس نادى بصوت عالٍ على جحدر الذي كان غارقًا في نومه، فنهض وهو ينظر يتلفت حوله ليتأكد أن الأمور لا تزال على ما يرام، وأن درهم ووالديه لا يزالون في قبضة أبي إصبع، وعندها سأل أبا إصبع:

- ماذا هناك؟

تقدم أبو إصبع خارج المكان الذي باتوا فيه ليلتهم، فقد كانت حجرة لا سقف لها، ودون باب، وجدرانها المصنوعة من الحجر والطين متشققة ومتهالكة، وقد سقطت أجزاء منها، فعاد نحوهم وقال:

- هيا بنا لقد حان وقت رحيلنا، كفاك نومًا.

نهض جحدر من مكانه، وكذلك درهم ووالداه، فقد كان لا يزال أمامهم مسافة لا تقل عن ثلاث ساعات يمشونها حتى يصلوا القلعة،

ولم يكن أحد منهم يعلم بخروج القائد ناصر مع العساكر متجهين نحوهم.

بدأوا سيرهم نحو قلعة الوجبة، وكان أبو إصبع يتأكد من أن سيرهم نحوها خال من أي كان، فقد كان يختار طرقًا بعيدة عن أي مدن يمكن أن يصادفوها في طريقهم، وكان الصمت سيد الأمر طوال الطريق، ولكن نظراتهم كانت تقول الكثير، فلم يتوقعوا أن الأمور ستصل إلى هذا الحد مع أبي إصبع.

قال جحدر الذي كان يتقدمهم:

- ها هي القلعة.

بخلاف غيرها من القلاع كان برج القلعة يقع في منتصف السور الخارجي، فقد بني البرج خارجها، ملتصقًا بجدار القلعة الخارجي، وله مدخل من داخل القلعة.

وحالما وصلوا إليها قام جحدر بخلع القفل من على باب القلعة، بإطلاق النار عليه، وتردد في المكان صوت إطلاق النار، وما إن دخلوا قام بإغلاق الباب مرة أخرى، و وقف أبو إصبع مواجهًا درهم ووالديه:

- هيا.. ماذا تعرفون عن مكان الكنز؟

رد أبو درهم:

- لا نعلم عن مكان الكنز شيئًا؟ فما عرفناه من قلعة الزبارة أن

سازيران قد زار هذه القلعة، وربما كانت كغيرها مجرد مكان يحوي لغزًا آخر يقود لمكان جديد.

جلس أبو إصبع على إحدى القطع الصخرية المربعة الموجودة في ساحة القلعة:

- إذن أذهب أنا وابنك درهم لنستكشف ونرى ماذا يوجد هنا، ويجلس جحدر معكما.

بدأ درهم ومعه أبو إصبع بالتجوال داخل حجرات القلعة، حجرة تلو الأخرى، بحثًا عن رمز أو رسوم تدلهم على مكان الكنز، بينما كان والده ووالدته يجلسان في باحة القلعة وجحدر معهما حاملًا السلاح في وجههما، تحدثت إليه أم درهم:

- هل الكنز يستحق منك كل هذا؟

رد عليها جحدر:

- كل ماذا؟ ماذا تقصدين؟

- أن تقتل ذلك الشاب المسكين، وتصوب سلاحك نحونا، فما فائدة الكنز إن كنت ستزهق أرواح الناس من أجله؟

- لم تري شيئًا بعد، وبإمكانك أن تصمتي الآن.

وقف جحدر ينظر نحو أبي إصبع ودرهم اللذين خرجا من آخر حجرة بعد أن قاما بالمرور على جميع الحجرات الموجودة، وقال له درهم:

- ليس أمامنا الآن سوى هذا البرج.

رد أبو إصبع:

- نعم وهو كذلك.

وفي الصحراء كان القائد ناصر ومن معه من العساكر يتجهون نحو قلعة الوجبة، دون أي توقف، فقد كانت المسافة التي تفصلهم عنها يسيرة بسبب ركوبهم الخيل، ولم يتوقفوا حتى ولو لدقائق للراحة.

دخل درهم وأبو إصبع البرج الشرقي للقلعة، وأمر أبو إصبع درهم أن يذهب لأعلى البرج ليلقي نظرة عليه لعله يجد شيئًا، بينما هو يتفحص المكان في الأسفل إلى أن يعود ويبحث معه، وكان درهم يقوم بذلك دون أن يدخل في جدل معه، فهو يعلم أن أبا إصبع لن يتوانى عن إلحاق الضرر بوالديه.

صعد درهم لأعلى البرج، ولم يجد شيئًا هناك أيضًا، فنزل للأسفل سائلًا أبا إصبع إن ما وجد أي شيء غريب أو علامة، فكان جوابه النفي، فألقى درهم نظرة حول المكان قبل أن يقترح أبو إصبع أن يتجها نحو البرج الخارجي، فخرجا متّجهين نحوه ومر درهم على والديه، وتضاعف حزنه عند رؤيتهما بتلك الحال، وما بيده حيله.

وكما فعل في البرج الأول صعد درهم إلى الأعلى وهو يتفحص طريقه حتى وصل إلى سطح البرج، ولم يلاحظ ما يدله على الكنز، ولكنه شاهد شيئًا آخر، ولم يصدق درهم عينيه؛ رأى مجموعة من

الجنود متجهين نحوهم، وعلم على الفور أنهم من جنود مدينة الزبارة، فحدث نفسه قائلًا:

- لابد وأنهم علموا بما حدث لبلال، ها قد حانت ساعتك يا أبا إصبع.

نزل من على البرج وحاول أن يتماسك حتى لا يشعر أبو إصبع بالأمر، فانتبه وهو ينزل للأسفل إلى إحدى الحجارة وكان منظرها مختلفًا بقية الحجارة، فتذكر ما حدث في قلعة الوكرة، عندما دفع هو ووالده إحدى عتبات الدرج، ووجدا الحجرة أسفلها، فقال محدّثًا نفسه:

- لا أعتقد أن الأمر سيكون بهذه السهولة.

نظر إليه أبو إصبع وكان نافد الصبر باديًا عليه:

- هل وجدت شيئًا؟

نزل درهم من على السلالم:

- لا شيء في الأعلى.

قاطعه أبو إصبع:

- هل تخفي أمرًا؟ إن كنت تفعل فسيكون مصيركم عصيبًا.

لم يجبه درهم واتجه مباشرة نحو قطعة الحجر التي لاحظها من الأعلى:

- يا الله لتكن هذه هي.

ودفع بيده قطعة الحجر التي انسحبت على الفور للداخل، وما هي إلا لحظات حتى بدأت تنبعث أصوات عنيفة في أرجاء البرج، والرمال المتراكمة على الجدار تتناثر بسبب اهتزازها، فخرج الاثنان من البرج على الفور مبتعدين عنه:

- ما الذي يحدث!!

رد درهم:

- لا أعلم.

وقف والدا درهم يشاهدان البرج وهو يهتز فقال أبو درهم:

- هل ما أشاهده حقيقة؟!

ردت والدة درهم عليه:

- نعم، إنه مكان الكنز.

كان برج القلعة يرتفع للأعلى، وكأنه يخرج من الأرض، وكانت علامات الخوف ظاهرة على أبي إصبع وجحدر من هول المنظر. لاحظ القائد ناصر ومن معه حركة البرج وهو يرتفع، فتوقفوا غير مصدقين من ما حدث أمامهم، وقال:

- لقد وجدوا الكنز، يجب أن نباغتهم، حتى لا يلحقوا الأذى بدرهم ووالديه.

ارتفع البرج إلى الأعلى ضعف حجمه الذي كان عليه، وفجأة توقف عن الارتفاع وبدأ بالالتفاف حول نفسه إلى أن ظهر باب

آخر للبرج، وبعدها توقف عن الحركة تمامًا.

كان أبو إصبع مذهولًا لدرجة جعلت الكلمات تخرج من فمه بصعوبة:

- ما.. الذي.. سنفعله.. الآن؟

تقدم درهم نحو البرج:

- وما الذي سنفعله! سندخل لنرى ما فيه.

قال له أبو إصبع أن ينتظر، وكان يشير لجحدر أن يأتي ومعه والدا درهم، وما إن اقتربا حتى قال لهما:

- أنتما الاثنان ستكونان معنا في الداخل، وأنت يا جحدر تقف بسلاحك أمام مدخل البرج، وإن خرج أي أحدٍ غيري لا تتردد في إطلاق النار عليه.

تسمر جحدر مكانه أمام المدخل وهم يتجهون للداخل وهو يقول لنفسه:

- لا تقلق، أتمنى أن تكون أول الخارجين حتى تكون أول من يقتل منهم.

كان المنظر في الداخل في غاية البهاء والروعة، فالهندسة المعمارية التي بنى بها المكان، كانت تفوق عصرهم بكثير، كانت هنالك سلالم خشبية لولبية الشكل معلّقة في منتصف البرج نزولًا للأسفل، وكانت تثبتها سلاسل حديدية، بينما كانت أطراف السلم

من الخشب المشغول والمصنوع بعناية، وبما أن أبا إصبع كان يخاف من أن تهوي هذه السلالم أو تنكسر فقد أشار لدرهم أن يتقدمهم، بينما هو خلفه ووالداه من بعدهم، وكانت أم درهم تتلفت حولها والجميع كذلك وهم ينزلون للأسفل.

وفي الخارج وصل القائد ناصر إلى بوابة القلعة، بعدما أوقفوا خيولهم بعيدًا عن المكان حتى لا يشعر أحد باقترابهم، وأشار إلى أحد العساكر أن يلقي نظرة على المكان من خلال الفتحات الموجودة في الباب الخشبي، وفي نفس الوقت أشار لاثنين آخرين من الجنود أن يلتفا حول القلعة ليريا إن كان هناك مدخل آخر.

عاد الرجل نحو القائد وحدثه بأمر جحدر الذي يقف أمام بوابة البرج حاملًا سلاحه.

فتساءل القائد ناصر:

- والبقية، أين هم؟

أجاب الرجل:

- اعتقد يا سيدي أنهم قد دخلوا إلى البرج فلا يوجد غيره في ساحتها.

فقال القائد ناصر:

- لننتظر عودة الجنود ثم نرى ما سنفعل في أمره.

وصل الجميع إلى نهاية السلم، وكان أمامهم مدخل آخر، ممر مقوّس

تم حفره بعناية، وتزيّن المدخل نقوش تم حفرها في الحجر المحيط به، فتوجهوا إلى الداخل، ولا يعلم أحد منهم ما الذي سيكون في انتظارهم، فتحدث أبو إصبع إلى درهم:

- هل تعتقد أن الكنز هنا؟

رد درهم:

- كل القلاع التي مررنا بها لم تكن كهذه، أعتقد أن هذه القلعة هي محطتنا الأخيرة.

كانت العتمة تزداد مع توغلهم في النفق حتى شعروا أنهم قد بلغوا مكانًا أكثر اتساعًا، فتوقّف درهم عن التقدم، فسأله أبو إصبع:

- لماذا توقّفت؟

رد درهم وهو يتحسس الحائط حول المكان الذي بلغوه:

- أعتقد أننا وصلنا، ولكن لا نستطيع أن نرى شيئًا في هذه العتمة، إنني أبحث عن عصا أو شعلة لتنير المكان.

وكان والده يبحث في الجهة الأخرى حتى وضع يده في شيء سائل، فرفع يده على الفور متسائلًا:

- ما هذا؟

اقترب درهم نحوه:

- ما الذي وجدته؟

رفع والد درهم يده ليشمها:

- أعتقد أنه نفط سائل.

- أين؟

أشار أبو درهم نحو شيء ملتصق بالحائط وكأنه حوض، فأخرج درهم عود ثقاب من جيبه، وحكها بالحائط وقربها من المكان، فبدأ بالاشتعال والنار تسير بسرعة حول المكان في مسارات حول الحائط فأنارت المكان برمّته، وبدأ كل شيء يتضح أمامهم، كان المكان عبارة عن قاعة كبيرة، وتحتوي أعمدة جانبية تحيط بها.

## ٢٠

في خارج القلعة، عاد الرجال الذي ذهبوا لاستكشاف المكان وأشاروا للقائد بأنه لا يوجد مدخل آخر للقلعة، فاقترب القائد من الباب الخشبي وأشار للعساكر بالاستعداد، وقام بدفع الباب بقوة، وبدا وكأن الباب سيقتلع من مكانه، وتدافع الجميع نحو الداخل، حينها تراجع جحدر خطوة للخلف، وما إن رأى العدد الكبير من الجنود حتى ألقى سلاحه بعيدًا ورفع يديه للأعلى مستسلمًا، فتقدم نحوه القائد ناصر، وبنبرة صارمة:

- أين هم؟ وأين ذلك.. أبو إصبع؟
- إنني لم أقترف شيئًا.
- قلت لك أين هم؟

نزل جحدر على ركبتيه، وأشار بيده نحو مدخل البرج:

- إنهم في الداخل.

وعلى الفور تقدم نحوه جنديان كبّلوه، فقال القائد:

- ليأتي معي ثلاثة منكم، والبقية يحرسون المكان، وأغلقوا بوابة القلعة حتى لا يهرب.

دخل القائد ناصر ومعه الجنود إلى البرج، وهم ينزلون على السلالم للأسفل، كانت أعين الجنود تتنقل حول المكان مذهولين من المنظر،

كما كان حال درهم ووالديه، وفي الأسفل تقدم أبو إصبع بعدما أصبح المكان منارًا بالكامل، كانت القاعة مليئة بالصناديق الخشبية المتحطمة وكل ما كان فيها يدل على أن الكنز كان فيها، وعندها قال أبو إصبع:

- أين هو الكنز؟

ضحك درهم:

- ها قد وجدنا المكان، ولكن دون الكنز.

لاحظ أبو إصبع وجود كتابة كتلك التي كانت على الخرائط السابقة، وتوجه بكلامه نحو والد درهم:

- تعال إلى هنا، واقرأ لي هذه العبارات.

كانت الكتابة محفورة على الجدار الأوسط للمكان، تقدّم والد درهم نحوها وزوجته خلفه تسأله:

- ماذا كتب هنا يا أبا درهم؟

لما المشقة والابتعاد

لا كنز يغني عن راحة البال

ابتسم والد درهم وقال:

- «لما المشقة والابتعاد، لا كنز يغني عن راحة البال»

- وماذا يقصد بهذا الكلام؟ أين كنزي؟

وما إن أنهى جملته حتى دخل عليهم القائد ناصر ومن معه من الجنود وهو يتوسطهم، وقال: وأخيرًا يا أبا إصبع التقينا.

التفت درهم نحو القائد قائلًا:

- لقد تأخرت أيها القائد.

- أعذرني يا درهم.

وتوجه بحديثه نحو أبي إصبع، الذي كان مذهولًا مما حدث:

- كما أرى لا كنز هنا أيها الماكر، اقبضوا عليه.

اندفع الرجال نحو أبي إصبع الذي سقط أرضًا وهو يقول:

- أين هو الكنز يا درهم؟ أين؟

أجابه درهم:

- ألم تفهم ما قرأه والدي يا أبا إصبع، لقد انتهى الأمر لا كنز هنا، لا يوجد كنز فقد أخذه سازيران قبلك.

خرج الجميع من داخل البرج، وأشار القائد لأحد الرجال بجلب الخيول، وأعطاها لدرهم ووالديه:

- إنني متأسف لأنكم لم تجدوا الكنز، وهذه الخيول لكم لتعودوا إلى منزلكم سالمين.

فأجاب أبو درهم:

- الكنز الحقيقي هو سلامة ابني وزوجتي، ونحن آسفون

لما حصل مع بلال، فلم نستطع أن نفعل شيئًا، ولكن ماذا ستفعلون بهما؟

وأشار برأسه نحو أبي إصبع وجحدر المكبلين:

- سيلقيان عقابهما على ما اقترفت أيديهما.

شكر درهم ووالداه القائد، وودّعوه وهم يمتطون أحصنتهم متجهين نحو مدينة الوكرة، وما إن عبروا بوابة القلعة، حتى سألته والدته:

- هل كنت تعلم بقدومهم؟

رد عليها درهم: نعم.

- ولكن كيف؟

- عندما كنت مع أبي إصبع كنت أنا من يصعد للأعلى بحثًا عما يدلنا على الكنز، ويبقى هو في الأسفل، وبينما كنت في الأعلى لاحظت القائد والعساكر وهم قادمون نحونا على ظهر خيولهم.

كان الحزن باديًا على وجه أبي درهم:

- حمداً لله، لولاهم لما كنا أحياء، وفوق هذا لم نجد كنز سازيران.

- بعد كل هذا العناء والمشقة، ولم نجد الكنز، أين تعتقد أنه قد أخذه؟

- لا أعلم يا زوجتي، ولكن ربما نقله إلى دولة أخرى، فكما هو

معروف عنه فقد كان يجول بقاع الأرض، ويمكن أن يكون قد وضع كنزه في بلاد أخرى، ولكن ما أحزنني هو شرائي الجملين بمال قد جمعته لزواج درهم.. والآن..

قاطعه درهم:

- أتحزن على مال؟! والله ما كنت لأسعد في حياتي قدر سعادتي بهذه الرحلة التي جمعتنا، وها أنا عائدٌ لمنزلي ووالداي بخير معي، وسيعوّضنا الله عن ذلك المال خيرًا يا أبت فلا تفكر بالأمر.

سعد والدا درهم بما قاله ابنهما، فتلك الرحلة وكل المخاطر التي تعرضوا لها، وكل ما اكتشفوه من أماكن جديدة وقلاع ومغارات.. ليست بالشيء القليل.

ولكن في الحقيقة ما كان يشغل بال درهم شيء آخر، تلك الكلمات التي قرأها والده، والتي كتبت على جدران تلك الحجرة، فقد ظلت الكلمات تتردد في عقله مرارًا وتكرارًا.

وأخيرًا وصلوا إلى مدينة الوكرة، حيث كانوا ثلاثتهم يركبون خيولهم ويسيرون بين منازل المدينة، والمارة في الشارع ينظرون لهم بتعجب، لملابسهم الغريبة والمتمزقة، وغيابهم كل تلك الفترة، وحالتهم الرثة، إلا أن الابتسامات والضحكات لم تكن تفارق وجوههم، فدخلوا إلى المنزل الذي فارقوه لليال طويلة، بعد كل

تلك المشقة والأحداث التي مروا بها.

كانت أم درهم أول من نزل من على الحصان وفتحت باب المنزل وهي تقول:

- آآه منزلي العزيز وأخيرًا. أتعلمان لا يحزنني أننا لم نجد الكنز، قدر سعادتي بأنكما بخير، وسعادتي بكل تلك الأحداث التي خضناها معًا، لقد أصبح لدي ما أحكيه لأحفادي مستقبلًا، شجاعة بنّي، وعزيمة زوجي.

- نعم ونحن كذلك.

قال درهم تلك الكلمات، ولكنه لايزال يفكر بما كتب على الحائط داخل ذلك المكان، ودخل الجميع ليغتسلوا ويغيّروا ملابسهم، وعندما خرج من حجرته القديمة، وجد والديه جالسين في مكانهم المعتاد، فذهب وجلس بجانبهم، فقالت له والدته التي أحست أن هنالك ما يشغل بال ابنها:

- ماذا بك يا بني؟ هل يحزنك أننا لم نجد الكنز؟ أم أنك عدت تفكر في مريم ابنة التاجر عبدالله؟

حك درهم رأسه وكأنه يحاول أن يجد شيئًا ما:

- كلا يا أماه ما يشغل بالي هو ما كان مكتوبًا على الحائط.

- انسَ الأمر يا بني، ولا ترهق نفسك أكثر بأمر الكنز.

- ولكن أنا أعتقد أن الكنز لا يزال موجودًا في مكان ما في

قطر.

- يا إلهي، لقد أصبحت مثل والدك، لا تكف عن التفكير في تلك الأمور!

اعتدل والد درهم في جلسته:

- كيف يا ولدي؟

- أنا متعجب من أمر الكتابة، فإن قام سازيران بأخذ الكنز من قطر، لماذا يقوم بكتابة تلك العبارات؟

- نعم، وقد كانت بالكتابة العثمانية.

تحمست أم درهم، وقالت:

- نعم.. نعم.. كتلك التي كانت على الخرائط، فهو لا يستخدمها إلا لتكون لغزًا يقصد فيها مكان آخر.

نهض درهم من مكانه:

- لقد قال «لما المشقة والابتعاد».

ونهض خلفه والده:

- أي أن المكان قريب.

فقالت أم درهم:

- قريب منا.

فأكمل درهم:

- «فلا كنز يغني عن راحة البال»

وقفت أم درهم بجانبهما:

- لا راحة بال إلا في مكان تعرفه وتسكنه.

قال درهم:

- المنزل!

اقترب الاثنان منه أكثر وبصوت مرتفع:

- منزلنا!!

انطلق الجميع نحو حجرة درهم، المكان الذي وجدوا فيه الدليل الأول، واقترب درهم وهو يمسح بيده على الحائط وتحديدًا في المكان الذي وجدوا فيه يد الهاون وهو يقول:

- كل ذلك الوقت، ونحن.. وهو هنا أمام أعيننا.

فتوجه بحديثه إلى والدته:

- أين هي يا أماه؟

فهمت والدته، فخرجت تركض وعادت في ثوان وهي تحمل يد الهاون:

- ها هي يا بنى.

أخذها درهم من يدها وقام بإعادة إدخالها مرة أخرى إلى الفتحة ولكن بالعكس هذه المرة، عندها خرج جزء من الحائط إلى الخارج مدوّر الشكل، قال درهم:

- يد الهاون و رحى الدقيق، وأمسك بالقطعة الخارجة منها،

وقام بدفعها نحو الجهة الأخرى فبدأت القطعة تلتف، حينها أحسوا باهتزاز الأرض تحتهم، فتمسكت والدة درهم بزوجها:

- ماذا يحدث؟

رد زوجها:

- لا أعلم، ولكن ابنك أصاب في ما قال.

كانت الرمال المتراكمة في الحجرة تنزل للأسفل، وكان نصف أرضية الحجرة يتحرك لتدخل أسفل الأخرى، حتى توقفت يد الهاون عن الدوران، فتقدموا نحو المكان وهم ينظرون وعلامات الانبهار تغمرهم، عندها أشار درهم إلى والده وقال:

- تفضل يا والدي ونحن من بعدك.

تراجع أبو درهم للوراء:

- كلا يا بني لا ينزل أحد منا قبلك، فلك فضل اكتشاف هذا المكان، وإن كان الكنز هنا فأنت من اكتشف مكانه.

تقدم درهم ونزل السلالم إلى الاسفل، والتقط أحد المشاعل المعلقة على الحائط، فأعطاها لوالده فأشعلها، كانت المسافة قصيرة حتى وصولهم للأسفل، لم يحتاجوا هذه المرة لإنارة المكان فقد كانوا تحت باحة منزلهم، وفي الأعلى حفرة البئر، حيث كان ضوء الشمس يدخل منها للمكان وينعكس ضوئها على المرايا المثبتة في

كل زاوية، قالت أم درهم غير مصدقة ما تراه:

- ها هو كنز سازيران.

لم يكن لأحد منهم أن يتوقع أو يتخيل ولا حتى أبا درهم الذي تجمد في مكانه محدقًا لكل تلك الكنوز التي ملأت المكان تحت منزلهم قابعة كل تلك السنين، حيث كان القبو كبيرًا بمساحة منزلهم كاملًا، وممتلئًا بالتحف والتماثيل الكبيرة، والقطع الذهبية المتناثرة في أرجاء المكان؛ كنز سازيران الذي قد جمعه من مختلف بقاع الأرض، موجودٌ هنا تحت منزلهم.

قال درهم وقد لمعت عيناه:

كنز سازيران.. كنز سازيران يا أبي..

اقترب منه والده ووضع يده على كتف ابنه قائلًا:

نعم يا بني.. هل صدقتني الآن؟!

# ٢١

بعد مرور عشرة أعوام من اكتشافهم لكنز سازيران، وقد تحققت أمنية درهم الذي تزوج من مريم وكانا قد أنجبا طفلة قد بلغت عامها الثامن، وعلى الرغم من أنهم قد سلّموا الكنز إلى الدولة، وتم توزيع محتوياتها على عدد من أكبر المتاحف في قطر، وأصبح متاحًا أمام الجميع؛ إلا أنهم قد حصلوا على نسبة من قيمة الكنز، كانت كفيلة بأن تقلب حياتهم.

ولكن درهم وأباه لم يعتزلا مهنتهما القديمة، فأصبحا يملكان مصانع ومتاجر كبيرة لعمل الحلاجة، وخلال تلك السنوات العشر، دخلت قطر في نهضة اقتصادية وعمرانية لم يشهد لها مثيل، خاصة بعد اكتشاف حقول الغاز والنفط.

في أحد الأيام كان أبو درهم جالسًا في غرفة المعيشة في منزلهم الجديد، وكانت نورة ابنة درهم جالسة في حضن جدها، وهو يقص عليها حكاية الكنز، وأم درهم ومريم جالستان قريبه تستمعان له، عندها دخل درهم عليهم فقفزت نورة من حضن جدها تركض نحو أبيها، فنزل والتقطها وهو يسألها:

- كيف كان يومك؟

ردت نورة:

- كان جدي يحكي لي قصتكم.. وعن كنز سازيران.
- وهل استمتعت بالحكاية؟

- نعم يا أبت..

طرحت عليهم تلك الصغيرة سؤالًا ما كان قد أتى على بال أحدهم مسبقًا:

ولكن أين بقية كنوزه؟ فقد قال لي جدي إنه كان يخفي كنوزه في بلاد متفرقة.

كانت كلمات نورة العفوية تلك مفاجأة، فلم يخطر على بالهم أمر بقية الكنوز والبحث عنها، وعندها قال درهم وهو يجلس على الأرض ونورة بجانبه وتستند بكفيها على رجل والدها:

- أتعلم يا والدي هنالك أمر في ذلك المكان الذي وجدنا فيه الكنز قد شد انتباهي لوهلة، ولكن اكتشاف الكنز وما لحق به بعد ذلك أنساني الأمر.

- وما هو يا بني؟

أغمض درهم عينيه ليتذكر تلك الكلمات، وقال:

- عندما نزلنا أسفل منزلنا ووجدنا الكنز، كانت هنالك كتابة في منتصف المكان وفوق الكنوز، بالخط العثماني نفسه.

- لا أتذكرها يا بني.

ردت عليه أم درهم ضاحكتًا:

- لأنك قد كبرت في السن أيها العجوز.

وتوجهت بحديثها نحو درهم:

- نعم يا بني وأنا كذلك أتذكر أنني شاهدت شيئًا مكتوبًا على جدار ذلك المكان.

ضحك درهم على ما قالته والدته وأكمل قائلًا:

- لقد كان مكتوبًا هناك، إن ما خاب ظني «بوابة كتارا وكنوز دلمون»

تنبّه أبو درهم وبدا عليه شيء من الحماس:

- مرة أخرى.. ماذا كتب يا بني؟

- «بوابة كتارا وكنوز دلمون»

وقف أبو درهم والإثارة ملأ وجهه:

- لماذا لم تقل لي من قبل؟

- لا أعلم فقد أشغلتنا الحياة، ماذا يا أبت هل هناك شيء؟

- أتعلم على ماذا كانت تطلق «كتارا»؟

أجابته مريم:

- كانت تطلق على دولة قطر قديمًا، فهي مشتقة من كلمة قطارا، وإن الكثير من الخرائط القديمة التي كانت تشير لقطر كانت تكتبها كتارا.

وأكمل درهم ما بدأت به زوجته مريم:

- «ودلمون» هي إحدى الحضارات القديمة التي كانت موجودة في البحرين.

وقفت أم درهم ونظرت للجميع:

- وإلى هناك نذهب..